تمهيد من الكاتب

"كتاب صغير تبسيطي عن الأنركية (أو التحررية) [1]: سهل المنال، رخيص، يذهب مباشرة إلى الجوهر... هل يحمّسك ذلك؟" حين طرحت عليّ دار ليبرتاليا هذا السؤال، لم أتردد ثانية واحدة. أجبت بنعم، اقتناعًا مني بأهمية هذا المشروع بل بضرورة العجلة لنشر الأفكار الأساسية لهذا التيار السياسي، ومقترحاته للتحول الديمقراطي والاقتصادي والاجتماعي.

بعد اندفاع البداية، تبيّن أن التمرين أكثر تعقيدًا بقليل مما توقعت.

وبما أنني كنت، منذ زمن طويل، طرفًا مشاركًا في نضالات الحركة التحررية (أو الأنركية [2]) — في البديل التحرري [3] (AL) ثم في الاتحاد الشيوعي التحرري (UCL) — ونقاشاتها فلم يكن واردًا بالنسبة إليّ أن أتقمص دور عالم السياسة المتحفّظ الذي يتناول موضوعه من مسافة أكاديمية مريحة. كان عليّ أن أوضح ما الذي أردت تجنّبه، وما الذي كنت آمل في تحقيقه.

فلنضع الأوراق على الطاولة.

أولًا، لم أرد أن يحمل هذا الكتاب ختم منظمة بعينها أو أن يعتمد على مصادر أحادية.

ثانيًا، رغبت في الخروج عن المسالك المألوفة للمتحفية الكلاسيكية، بما فيها تجميع النصوص الجامدة كالنصوص الكنسية، ومعارض اللحى البُنِّيَّة القديمة، والبطولات الأسطورية للأنركية.

ثالثًا، كان عليّ أن أحذر الانحراف التاريخاني — الشائع جدًا في أقصى اليسار — الذي يظن أنه يعبّر عن حقيقة الحاضر لتيار سياسي عبر تشريح ماضيه.

رابعًا، أردت تجنب النزعة الموسوعية التي، خوفًا من عدم الشمول، تُلزم نفسها بإحصاء كل الابتكارات العقائدية، حتى الأكثر هامشية منها («الأنركية القومية»، «ما بعد الأنركية»، «الأنركية الدينية»...) فتُبعد عن الجوهر.

وخلاصة القول، لم أرد أن أقدّم للأنركية صورةً عقائدية جامدة، متقادمة، متوقفة عند زمن «الآباء المؤسسين»، ولا صورةً مشوشة بإضافة بناءات فكرية تفتقر إلى أي واقع جماعي.

لذلك يركّز هذا الكتاب على الأسس الإيديولوجية للأنركية (التحررية)، تلك التي تشكّل مركز ثقلها وتؤسس فرادتها. وإلى جانب الكتّاب الكلاسيكيين، يحيل الكتاب باستمرار إلى توجهات الحركة التحررية القائمة فعليًا، سواء كما تتجلى في ممارساتها أو كما أُقِرّت جماعيًا.

وقد بدا لي أن بنية الكتاب، المنظمة حول عشرة أسئلة، هي الأنسب للذهاب مباشرة إلى الهدف، عبر تلخيص التحليلات والمواقف والممارسات — وسلسلة نسبها (جينيالوجيتها) — من دون أن يمنع ذلك تبنّي وجهة نظر شخصية.

وكما فعل كثيرون قبلي، طمحتُ إلى إنجاز عمل مختلط: كتيّب يكون في آنٍ واحد مُفيدًا لعامة القرّاء ونافعًا للمناضلات والمناضلين المتمرّسين. طموح شائع بلا شك، لكنه صادق.

غيوم دافرانش
Guillaume Davranche

ترجمة: جورج سعد، عميد سابق، الجامعة اللبنانية، شيوعي تحرري.

[1] يمكن أيضاً استخدام كلمة أنركية والشائع هو استخدام كلمة .anarchisme التحررية هي تعريبنا لكلمة) فوضوية عند الكتاب العرب. لكنه استخدام نفضل تجنبه. منذ ترجمتنا لكتاب دانيال غيرين L'anarchisme دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1994) فضلت اختيار كلمة التحررية نظرا

للالتباس الذي توقعنا فيه ملفوظة "الفوضوبة". ولكن في هذا الكتاب سأبقي في الغالب على عبارة أنركي (إضافة من المترجم)).

.سنستخدم الكلمتين لا فرق. لكن للأنركية حصة الأسد في هذا الكتاب 2

منظمةً تحررية (فوضوية)ً فرنسية ذات توجّه شيوعي تحرري، نشطت بين عامي 1991 و2019، وكانت 3 تدعو إلى مجتمع بلا طبقات ولا دولة، قائم على الإدارة الذاتية والثورة الاجتماعية، وقد اندمجت لاحقًا (اضافة من المترجم) . (UCL) لتشكّل الاتحاد الشيوعي التحرري

من أين جاءت الأنركية؟ 1/

في أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر، وعلى ذيل مذنّب الأممية الأولى، اجتمعت حفنة من الكومونيين السابقين، والعمال السويسريين، والثوريين الروس في المنفى، ومقاتلي الأحراش الإيطاليين حول أفكار ميخائيل باكونين. رافضين الطريق البرلماني، وطامحين إلى الشيوعية، فأسسوا حركة جديدة، أخذت شيئًا فشيئًا تحدد أسسها الجوهرية.

متى وُلدت الأنركية؟ للإجابة عن هذا السؤال، يمكن اعتماد مقاربتين.
الأولى تقوم على إدراج الأنركية أو التحررية ضمن متصلٍ يمتد لآلاف السنين، باعتبارها نزعة عميقة ولازمنية لدى الإنسانية لرفض السلطة. وبهذا المعنى يمكن «إلحاق» العديد من الفلاسفة غير الملتزمين — لاو تسه، ديوجين، رابليه، غودوين... (Lao Tseu, Diogène, Rabelais, Godwin) — بالأنركية وذلك بأثر رجعي.
أما المقاربة الثانية - وهي التي يعتمدها هذا الكتاب - فهي أكثر تاريخية: وُلدت الأنركية في اللحظة التي اعترف فيها جمع من المناضلات والمناضلين بأنهم يشكّلون فصيلًا سياسيًا قائمًا بذاته داخل الاشتراكية الثورية، واختاروا أن يسمّوا أنفسهم «أنركيين anarchistes». لا شيء أزليًا في ذلك. فهذا التحول الحاسم محدد بوضوح في الزمان والمكان: لقد جرى في قلب مثلث فرنسي–إيطالي–سويسري، بين عامي 1876 و1880 4. ففي هذا الحيز الزمني الدقيق، بدأ تجمع من الثوريين الإيطاليين والسويسريين والفرنسيين والروس، الساعين إلى توضيح عقيدتهم، بالمطالبة بتسمية الأنركية. فبأي طريق وصلوا إلى ذلك؟

النشأة : 1840–1865

منذ الثورة الفرنسية، لم يكن مصطلح «أنركي» يُطلق إلا على مثيري الشغب، والمتمرّدين، والناهِبين الذين يستغلّون الفترات الثورية. وأول من أعاد الاستيلاء على هذا الوصف بمعنى إيجابي كان عاملاً عصاميًّا معروفًا: الفرنسي بيير-جوزيف برودون. غير أنّ هذه الاستعادة ظلّت متردّدة إلى حدّ ما، إذ إنّ برودون لم يتبنَّ المصطلح إلا في كتابه الأول «ما هي الملكية؟» الصادر سنة 1840، حيث أكّد أنّ «أسمى درجات كمال المجتمع تكمن في اتحاد النظام والفوضى»، أي في انسجامٍ بلا إكراه. وبعد ذلك، باستثناء أواخر حياته، تخلّى عن هذا اللفظ ولم يُسمِّ مذهبه الاقتصادي والسياسي قط «أنركياً». ومع ذلك، فإنّ رؤيته لاشتراكية غير دولانية، فدراليّة وإدارية ذاتية، ستُخصِب بلا شكّ الأنركية التي ستولد بعد وفاته بخمسة عشر عامًا. غير أنّ الحركة لم تتلقَّ الإرث البرودوني إلا بصورة انتقائيّة، إذ رفضت الجوانب المحافظة في فكره — تعلّقه بالملكيّة الصغيرة، وباقتصاد السوق، وبالبطريركيّة 5 — ولم تحتفظ سوى بالنظرية الفدرالية والتسيير الذاتي. وخلاصة القول: إذا كان الاشتراكيون قد أيقنوا ماركس رمزًا لهم، فإنّ الأنركيين تعاملوا دائمًا مع برودون بحذرٍ وتوجّس 6.

طور التشكّل: 1865–1876

المعروفة AIT) «قبل وفاة برودون بثلاثة أشهر، تأسّست في لندن «جمعيّة العمّال العالميّة بـ«الأمميّة الأولى»). وكانت أوّل منظمة كبرى عابرة للحدود للتضامن العمّالي، كما شكّلت حاضنة استثنائية للأفكار، تبلورت فيها، عبر المواجهة، مختلف المذاهب الاشتراكية. في سنواتها الأولى، أي — collectivisme هيمنت على الأمميّة نزعات معتدلة، قبل أن تعتمد أطروحة الجماعيّة الملكيّة الجماعيّة لوسائل الإنتاج — وكان أبرز ممثّليها كارل ماركس وميخائيل باكونين. وقد أعاد هذا الثوري الروسي صياغة أفكار برودون الفدرالية والإدارية الذاتية، لكن بمنحها طابعًا جماعيًا وغير أبويّ. وباكونين، ابن ثورة 1848 ومقاتل المتاريس الدائم، كان يتأرجح بين استراتيجية نقابيّة سابقة لأوانها تدعو إلى بناء منظمات واسعة للنضال العمّالي، واستراتيجية تمرّدية تعتمد تشكيل مجموعات عمل سريّة. وعلى غرار برودون، نادرًا ما استخدم لفظ «أنركي» (أو «فوضوي») لوصف برنامجه 7. ومع ذلك، فإنّ الذاكرة التاريخية ستحتفظ به بوصفه الشخصية المرجعيّة لهذا التيار السياسي.

ابتداءً من عام 1870، انتقل الانقسام داخل الأمميّة إلى مواجهة بين الباكونينيين والماركسيين حول الموقف من الدولة. ففي حين دعا الأوائل إلى مقاطعة الانتخابات وإلى الثورة الاجتماعية، أيّد الآخرون العمل البرلماني. وانتهى الخلاف بانشقاق سنة 1872. فمن جهة، أُعيد تشكيل أمميّة «ماركسيّة» صغيرة عابرة. ومن جهة أخرى، استمرّت لمدّة خمس سنوات أمميّة تُسمّى وكانت في الواقع تضمّ تعدّدًا من التيارات. فبعضها «anti-autoritaire» «مناهِضة السلطوية تطوّر نحو الإصلاحية البرلمانية، كما في بريطانيا وبلجيكا. أمّا الإيطاليون والفرنسيون فازداد انجذابهم إلى العمل المسلّح. في حين ظلّ السويسريون والإسبان أوفياء للاستراتيجية «النقابيّة» لباكونين في مرحلته الأخيرة.

الولادة: 1876–1881

عقدت الأمميّة المناهضة للسلطوية مؤتمرها الأخير سنة 1877، بعد عام من وفاة باكونين. وباستثناء الاتّحاد الإسباني المتين، كانت الأقسام الوطنية المتبقّية في طور التفكّك، متقلّصة إلى نوى متشدّدة. وفي هذه الأوساط جرى تبنّي وصف «أنركي»، واشتدّ نقد جماعيّة الأمميّة لصالح مصطلح كان آنذاك يكتسب دلالة جديدة: الشيوعية 8.

وسنرى في الفصل التالي رهانات هذا الجدل بين الجماعيّة والشيوعية entre le collectivisme et le communisme.

وقد جرى تثبيت هذا التحوّل الأيديولوجي المتسارع منذ 1879–1880 عبر مؤتمرين لاتّحاد الجورا Fédération jurassienne التابع للأمميّة السابقة 9. وكغيره، شهد هذا الاتّحاد تآكل قاعدته العمّالية، لكنه ظلّ مرجعًا سياسيًا بإيوائه مجموعة من المنفيّين الثوريين الأكثر ديناميّة: الإيطاليان كوستا وكافيرو؛ والروسي كروبوتكين؛ والفرنسيون باندي وبروس وإليزيه روكلو Élisée Reclus. وهؤلاء هم من سيُقرّون اعتماد مصطلح «أنركي» لتسمية توجّههم، وفي الوقت نفسه سيحدّدون عقيدته الشيوعية واستراتيجيته التمرّدية.

في مؤتمرها السنوي المنعقد في تشرين الأول 1879 بمدينة لا شو-دو-فون، اعتمد اتّحاد الجورا هدفين: 1- الشيوعية الأنركية [...] مع اعتبار الجماعيّة شكلاً انتقاليًا للملكيّة؛ 2- إلغاء جميع أشكال الحكم، والفدرلة الحرّة لمجموعات المنتجين والمستهلكين» 10. وفي تشرين الأول 1880، عقد مؤتمر جديد في لا شو-دو-فون، تخلّى نهائيًا عن مصطلح «الجماعيّة»، ولم يُبقِ مرجعًا سوى الشيوعية الأنركية، مؤكّدًا أنّ «البلديّة» ستكون الخلية الأساسية للمجتمع المستقبلي.

كانت منطقة لا شو-دو-فون La Chaux-de-Fonds في آنٍ معًا ذروةً وبدايةً. ففي غضون سنوات قليلة، حلّت الشيوعية محلّ الجماعيّة الباكونينية داخل حركة باتت تعرّف نفسها صراحةً بوصفها «أنركية». وسيكون العالِم بيار كروبوتكين منظّرها الأبرز. ولاحقًا، وحتى استيلاء لينين على المصطلح سنة 1918، سيغدو لفظ «شيوعي» «شبه مرادف لـ«أنركي».

ومع امتلاكه اسمًا وعقيدة، خطا التيار أولى خطواته. فقد شهد عام 1881، في فرنسا، تحرّر الأنركية الكامل من الحركة الاشتراكية. وكانت هذه الأخيرة تسخر آنذاك من ذلك «الربع الصغير» من المناضلين الذين اشتهروا بمقالات لاذعة في صحفهم، واعتمدوا رمزًا مميّزًا لهم: الراية السوداء.

من النزعة التمردية إلى النقابية: 1881–1914

طوال نحو عقد من الزمن، ظلّ الأنركيون أوفياء للاستراتيجية المعروفة باسم «الدعاية بالفعل»، التي أُقِرّت خلال مؤتمر دولي عُقد في لندن في تموز 1881. وكان الهدف، عبر أفعال غير شرعية لافتة، إثارة التمرّد الشعبي. وقد تُرجم ذلك أساسًا بسلسلة من العمليات المتفرقة ضد رموز السلطة، وغالبًا من دون وقوع ضحايا. لكن الأنركيين سعوا أيضًا إلى تحريض العمّال العاطلين عن العمل، مما أدى إلى بعض أعمال الشغب العابرة بين عامي 1883 و1885 في باريس.

ابتداءً من عام 1888، تطوّرت الرؤية الاستراتيجية. فبفعل تأثير خطيب بروليتاري واسع الصيت، هو النجار جوزيف تورتيلييه Joseph Tortelier تحوّلت الحركة الفرنسية بسرعة نسبية إلى فكرة جديدة لإسقاط النظام الرأسمالي: الإضراب العام.

غير أنّ الأطراف الأكثر تمردًا اعترضوا على هذا التحوّل، ورأوا فيه نوعًا من الترويض أو التلطيف. وفي الفترة 1892–1894، أعادت موجة التفجيرات التي أطلقها رافاشول ترجيح الكفة لصالح النزعة التمردية، لكنها لم تُفضِ إلا إلى قمع لا هوادة فيه. كادت الحركة أن تُفكَّك بالكامل، من دون أن تُثير ردّ فعل تضامني قوي داخل الطبقة العاملة. أُغلِقت جميع الصحف – ولا سيما *Le Père Peinard* و*La Révolte* – واضطرّت عشرات المناضلات والمناضلين إلى اللجوء إلى الخارج هربًا من المداهمات والضرب والسجن.

وقد تبيّن في النهاية أن هذه العمليات كانت «أغنية الوداع» للنزعة التمردية في فرنسا. فبعد العودة من المنفى، انخرط الأنركيون على نحو متزايد في النقابات، حيث كان التوجّه إلى الإضراب العام يتقدّم بخطى سريعة. وسرعان ما وجدناهم في جميع مستويات الكونفدرالية العامة للشغل (CGT) التي سيطروا عليها تقريبًا بين 1901 و1913. وفي عدة بلدان، ساهم الأنركيون بذلك في تطوير النقابية الثورية. وبالتوازي، أُنشئت منظمات أنركية: في ألمانيا سنة 1901، وفي هولندا سنة 1905، وفي فرنسا سنة 1910...

ومن تلك المرحلة اصبحت البنية الغالبة في الحركة التحررية (الأنركية): من جهة تنظيم خاص، ومن جهة أخرى العمل داخل الحركات الشعبية الجماهيرية.

من أين جاءت كلمة «ليبرتير/تحرّري»؟

يبدو أن الاستعمال السياسي لكلمة «ليبرتير» بدأ سنة 1857 مع أحد ثوار 1848 الفرنسيين المنفيين في نيويورك. كان الشاعر والمهتم بابتكار المصطلحات جوزيف ديجاك (1821–1865) قد نشر كتيّبًا ضد معاداة برودون للنسوية، واتّهمه فيه بأنه «ليبرالي» – أي مناصر للتبادل الحر – لا «ليبرتاري» – أي مناصر للحرية 11. وقد استعاد برودون نفسه هذا المصطلح في كتاباته، من دون أن يحدّده بدقة. وبعد عشرين عامًا، تبنّت أوائل المجموعات الأنركية الفرنسية المصطلح بالكامل، وجعلت من «الشيوعية التحررية le communisme libertaire» مرادفًا لـ«الشيوعية الأنركية». بل ودافعت عن هذا المشروع في المؤتمرات الاشتراكية لعامي 1880 و1881. ومنذ العقد التالي، أصبح مصطلحا «أنركي» و«تحرّري» مترادفين.

وماذا عن لون الراية؟

في فرنسا سنة 1883، استولت الحركة الأنركية للمرة الأولى على الراية السوداء. لونٌ يعبّر عن في 18 آذار، Louise Michel «حدادنا على موتانا وعلى أوهامنا»، كما شرحت لويز ميشيل[12] خلال إحياء ذكرى كومونة باريس. وكان الهدف حينها أساسًا التميّز عن بقية التيارات الاشتراكية، التي كانت جميعها ترفع الراية الحمراء. وبعد خمسة أشهر، أعاد أناركيّو ليون تسمية جريدتهم الراية السوداء، موضّحين أن هذا الرمز – تكريمًا لراية عمّال الحرير (الكانو) المتمرّدين سنة 1831 – سيكون رايتهم من الآن فصاعدًا. ومنذ ذلك الحين، أخذت الحركة الأنركية ترفعها، غالبًا جنبًا إلى جنب مع الراية الحمراء.

أما الراية المقطوعة بالأحمر والأسود، فقد ابتُكرت في إسبانيا. ويُقال إنها رُفعت للمرة الأولى في 1 أيار 1931 في برشلونة، رمزًا لوحدة النقابيين والأنركيين في النضال. وقد أصبحت الراية الرسمية للـCNT وانتشرت عالميًا بفضل الثورة الإسبانية عام 1936

في أيامنا هذه، ترفع الراية السوداء أكثر من قبل المنظمات التركيبية (التوليفية[13])، في حين والاختصاصيون (les plateformistes) يفضّل الأنركو-نقابيون وأتباع المنصة (البلاتفورميون (spécifistes) الراية الحمراء والسوداء.

وماذا عن الأنركية الفردية؟

على خلاف فكرة شائعة، فإن الألماني ماكس شتيرنر (1806–1856) أو الأميركي جوزايا وارن (1798–1874) لا علاقة لهما بنشأتها. ففي فرنسا مثلًا، ما بين 1890 و1891، وبسبب رفض النزعة إلى الإضراب العام، قرّر تيار تحرّري أن يختلف، ثم أن ينشقّ معلنًا نفسه «فردانيًا» [14]. وادّعى لفترة أنه سيحلّ محل الأنركية بوصفه العقيدة الثورية الجديدة، لكنه إذ فشل، ركّز على إصلاح أنماط الحياة – النباتية، الحب الحر، إلخ. في فرنسا، عرفت الفردانية عصرها الذهبي بين 1905 و1910، مُشكّلةً مجتمعًا مضادًا صغيرًا، تفتّت سنة 1912 على إثر قضية «عصابة بونو [15]». ولم يُرفَع شتيرنر إلى مرتبة المرجع الأساسي إلا بعد 1918. وخلال العقود اللاحقة، استمرت الفردانية في الوجود بشكل هامشي، في ظلّ المنظمات الأنركية.

وماذا عن الأنركو-رأسمالية؟ وعن «الأنركية اليمينية»؟

في عام 1983، نشر أكاديمي كندي فائق الليبرالية، بيير لوميو، كتابًا بعنوان من الليبرالية إلى الأنركو-رأسمالية، دافع فيه عن السلطة المطلقة للسوق، وخصخصة الشرطة والقضاء، والمنافسة الشاملة. ولم يكن استرجاع مصطلح «الأنركية» – المختزل في معناه المعادي للدولة – سوى قيمة دعائية. وقد فشلت الصيغة، ولم يعتمدها تقريبًا أحد، إذ فضّل الليبراليون المتطرفون في الولايات المتحدة تسمية أنفسهم «ليبرتاريين»، وهي تسمية لغوية مستحدثة.

أما «الأنركية اليمينية»، فهي لا تقوم لا على مستوى اقتصادي ولا على مستوى سياسي. وبعيدًا عن كونها مذهبًا، ليست سوى ملصق يُلصق ببعض الفنانين غير الامتثاليين – من سيلين إلى ويلباك Céline à Houellebecq – الذين يجعلون من السخرية القاسية نوعًا من الأناقة...

4 Maitron Jean, *Le Mouvement anarchiste en France,* tome I, Gallimard, 1992, p. 81-85.

5 بمعنى الذكورية.

6 Manfredonia Gaetano, « Lignées proudhoniennes dans l'anarchisme », *Mil neuf*

cent, n° 10, 1992.

7 Berthier René, « L'usage du mot “anarchie” chez Bakounine », étude de 2009, sur Monde-nouveau.net

8 Manfredonia Gaetano, Anarchisme et Changement social, ACL, 2007, p. 323.

9 لمنطقة الجورا قصة خاصة مع الفكر التحرري الأنركي: تأسس اتحاد الجورا (أو الاتحاد الجوراسي) سنة 1871 وهو يعد أحد أهم مراكز الأنركية في أوروبا. نشأ خاصة في محيط سان إيميبه، لا شو-دو-فون، (وسونفيلييه) في سياق عمالي مرتبط بصناعة الساعات.

10 Maitron Jean, *Le Mouvement anarchiste en France,* op. cit., p. 82.

11 Valentin Pelosse, « Joseph Déjacque et la création du néologisme “libertaire” », *Économies et sociétés,* vol. 6, n°12, 1

12 لويز ميشيل (1830–1905) هي إحدى الشخصيات البارزة في الحركة الثورية الفرنسية، وتُعرَف خصوصًا كمناضلة أنركية ونسوية وكإحدى الشخصيات المحورية في كومونة باريس سنة 1871.

13 التوليفية synthésistes (التي تقوم بعمل توليفي (استخلاصي) من المعتقدات كافة).

14 Manfredonia Gaetano, « L'individualisme anarchiste en France, 1880-1914 », thèse de 3e cycle, IEP Paris, 1984.

15 فرقة بونو كانت مجموعة يقودها جول بونو. اشتهرت بعمليات سطوها العنيفة على البنوك والأسلحة. كان أعضاؤها يعتنقون الفكر الأنركي الفرداني ومعارضين للرأسمالية والدولة. كانوا يرون السرقة وسيلة لتمويل كفاحهم وتحدي المجتمع البرجوازي. (إضافة من المترجم)

2/ ما هو المشروع الاقتصادي؟

عند تناول المشروع الأنركي، فإن اختيار البدء بالجانب الاقتصادي ليس اعتباطيًا. فإلغاء الرأسمالية والسوق، والتوزيع المتكافئ للثروات، يشكّل شرطًا لا غنى عنه لازدهار نظام ديمقراطي وإيكولوجي، يكون ملائمًا لتفكيك البنى الهرمية القائمة على التمييز الجنسي والعنصري.

Socialisation التنشئة الاشتراكية

في حين يدافع الليبراليون بشراسة عن الملكية الخاصة للمؤسسات، ويقترح الماركسيون-اللينينيون تأميمها، يقدّم الفكر الأنركي طريقًا ثالثًا : التنشئة الاشتراكية.
لنبدّد فورًا سوء فهم شائع: هذا لا يعني أن كل مؤسسة بعينها يجب أن تكون ملكًا للعاملات والعمال الذين يعملون فيها! قد يكون ذلك ممكنًا، على مضض، في تعاونيات صغيرة، لكنه لا معنى له في الخدمات العامة الكبرى والصناعات الاستراتيجية — كالمستشفيات، والتعليم، والسكك الحديدية، وإنتاج الطاقة، والبناء، وغيرها.
فكرة التنشئة الاشتراكية تقوم على أن البنى التحتية للإنتاج والتبادل، الضرورية لمجمل المجتمع، لا يجوز أن تُصادَر لا من قِبل طبقة من المساهمين الرأسماليين، ولا من قِبل بيروقراطية دولية كما كان الحال سابقًا في الاتحاد السوفييتي، ولا حتى من قِبل فئة مهنية محددة من العمال. بل يجب أن تكون ملكية اجتماعية، أي مملوكة قانونًا من المجتمع بأسره، وتخضع لإشراف المستوى الأنسب: غالبًا اتحادات صناعية، وأحيانًا جماعات محلية إقليمية[16].

Autogestion الإدارة الذاتية

في التصور الأنركي، يتولى المعنيّون مباشرة تنظيم عملهم. وبذلك يمكنهم تحويله جذريا وتحريره من الرأسمالية: سلاسل الإنتاج الموقّتة بالدقائق، والمنافسة المحمومة، والمراقبة بالفيديو، والتحرّش الإداري، وساعات العمل المجزأة أو المفرطة، وغيرها.
تفترض الإدارة الذاتية سياسة تدريب مستمر. إذ ينبغي لكل فرد أن يتمكّن من التعرّف إلى مختلف المهن الموجودة في مجاله، وأن يكتسب رؤية شاملة للنشاط. وهذا شرط أساسي لإطلاق إعادة تعريف للمهن[17]، وإغناء أكثرها مشقّة، والطعن في التراتبية بين العمل اليدوي والعمل الذهني، و«تفكيك تجزئة المهام». ومن شأن ذلك، بدايةً، أن يسمح للعمال والعاملات بألّا يشعروا بالترهيب في الجمعيات العامة أمام وجهات نظر المهندسين.

التخطيط الديمقراطي **Planification démocratique**

صحيح أن كل مؤسسة تدير عملها ذاتيًا، لكن لا يمكن لأي مؤسسة أن تحدد وحدها أهداف إنتاجها. فهذه الأهداف يجب أن تُنسَّق مع الاتحاد الصناعي أو مع الجماعة المحلية الوصية، وفقًا لحاجات السكان.

ومن يحدّد هذه الحاجات؟ تفصيليًا، هيئات الاستشراف والإحصاء، كما هو قائم اليوم؛ وعلى المستوى العام، السكان أنفسهم. وما المقصود بـ«المستوى العام»؟ لا أقل من نماذج الغذاء والطاقة والعمران والتعليم والنقل، على سبيل المثال. فهذه النماذج التي تمسّ المجتمع بأسره يجب أن تكون موضوع نقاش ديمقراطي وخيارات جماعية. اليوم[18]، تُتَّخذ هذه الخيارات إما داخل السوق، أو تُصادَر عبر صراعات النفوذ بين لوبيات رأسمالية lobbies capitalistes عبر جهاز الدولة. لذا يقترح الأنركيون إسناد القرار إلى المجتمع ذاته.

الشيوعية

كانت كلمة «الشيوعية» موجودة قبل أن يجعلها لينين مرادفًا لدولة بيروقراطية. ففي عامي 1879-1880، تخلّت الحركة الأنركية عن المرجعية الجماعية (الكولكتيفية) واعتمدت الشيوعية. فما الرهان؟

صيغة الجماعية - «لكلٍّ حسب عمله» - تفترض أن يُكافأ كل مواطن بحسب العمل الذي يقدّمه. وبالتالي فهي تفترض تحديد قيمة للعمل، على أساس الزمن أو المهمة المنجزة، وهو ما كان رأي ماركس وباكونين. غير أن الحركة الأنركية الناشئة، بعد وفاة باكونين، اعترضت على هذه الفكرة، معتبرةً أن قياس العمل الفردي سيؤدي إلى جهاز إداريٍّ متضخم، يكون نواةً لدولانية جديدة. عندها جرت التوصية بالشيوعية، وفق الصيغة: «من كلٍّ حسب قدرته، ولكلٍّ حسب حاجته». وكانت الفكرة أن الإنتاج الحديث يفوق الاستهلاك بكثير، فلا حاجة إلى القياس الكمي. في الشيوعية، يستطيع كل فرد أن يعمل بحرية وأن يستهلك بلا حدود[19].

اليوم، لم تعد الحركة الأنركية تتصور الشيوعية بهذه الصيغة، سواء لإدراكها محدودية كوكب الأرض، أو لرغبتها في تفكيك اللامساواة داخل العمل ذاته، إذ إن المشقّة تختلف من مهنة إلى أخرى.

يمكن تصوّر أن توزيع الثروات في المجتمع المستقبلي سيتم بشكل متمايز: ففي التعليم، والصحة، والنقل، والثقافة، يكون هناك قطاع عام واسع بإتاحة حرة وغير مقيّدة. أما توزيع سلع الاستهلاك الشخصي، والسكن، والغذاء، والطاقة، فيخضع لتنظيم[20].

ونقطة التوازن المنشودة هي التلاؤم بين حاجات السكان، والقدرات الإنتاجية، وقدرات المحيط الحيوي. ولن تسمح الرأسمالية أبدًا بتحقيق ذلك؛ فهذا هو التحدي الأكبر للشيوعية التحررية.

عقد اجتماعي جديد

في مجتمع تكون فيه الاقتصاديات خاضعة لنظام اشتراكي اجتماعي لا وجود فيه لطبقة رأسمالية، سيكون من الضروري إبرام عقد اجتماعي جديد بين الفرد والجماعة. وقد يكون على النحو التالي: مقابل مساهمته في المجتمع، يحصل كل مواطن على وصول غير محدود إلى الخدمات «المُشاعة»، ووصول مُحدَّد السقف إلى سلع الاستهلاك. ولتحقيق ذلك، قد يُخصَّص له شهريًا رصيد غير قابل للاكتناز — أي لا يمكن ادخاره أو تراكمه[21].

هل يعني هذا أن لكل مواطنة ومواطن الحق في الشيء نفسه؟ وأنه لن يبقى أغنياء ولا فقراء؟ نعم، هذا هو المقصود تمامًا. ولا يعني ذلك إطلاقًا مجتمعًا موحّدًا رماديًا مُمَسَّخًا بلا تميّز. سيظل المجتمع متنوعًا، ملوّنًا، غنيًا ثقافيًا ومتباينًا... لكنه لن يعود مُرتَّبًا هرميًا إلى فئات «فاحشي الثراء» و«الميسورين» و«الوسطيين» و«الشعبيين» و«الفقراء».

المساواة في العائد، والإنصاف في المساهمة

لجعل هذه المساواة في العائد ممكنة، لا بد من إنصاف في المساهمة. أي السماح بمساهمة متمايزة بحسب مقدار الجهد الذي تتطلبه كل مهنة. ومفهوم «الجهد» مستعار من الكاتب مايكل الذي يبيّن أن احتساب ساعات العمل لا يقيس بدقة العمل [22] Michael Albert ألبرت المُنجَز. فحتى لو حُسِّنت ظروف العمل جذريًا، ستظل المشقة متفاوتة بين المهن. ساعة عمل تحت العوامل الجوية في ورشة بناء أو على قارب صيد، أو ساعة ليلية في مستشفى أو على خط سكك حديدية، ستكون دائمًا أكثر إنهاكًا من ساعة عمل في النشر أو الإدارة. وفي مجتمع حر، قد تعاني المهن الشاقة سريعًا من نقص في المتقدّمات والمتقدّمين إذا لم تُقرَن بحوافز — كخفضٍ خاص في زمن العمل مثلًا.

ومن خلال إعادة الاعتبار للمهن التي تنطوي على جهد إضافي، تلغي اقتصاديات الإدارة الذاتية هذا التناقض الملازم للرأسمالية، حيث تكون الأعمال الأكثر مشقة هي الأسوأ أجرًا والأقل تقديرًا. الفلاح، عامل الصرف الصحي، الخباز، عامل النظافة، الممرضة المساعدة، العاملة أو العامل، أمين المخزن... ستعيد لهم الشيوعية التحررية أخيرًا حقهم.

16 Besnard Pierre, *Les Syndicats ouvriers et la révolution sociale,* 1930, p. 296.

17 UTCL, *Le Projet communiste libertaire,* 1988, p. 147.

18 FA, *Les Anarchistes et le problème social,* 1945 (réédition 1978), p. 30.

19 Gonzalbo Myrtille, *Les Chemins du communisme libertaire en Espagne,* volume 1, Divergences, 2017, p. 47.

20 UTCL, *Le Projet communiste libertaire,* op. cit., p. 113.

21 Besnard Pierre, *Les Syndicats ouvriers et la révolution sociale,* op. cit., p. 300 ; FA, *Les Anarchistes et le problème social,* op. cit., p. 24 ; UTCL, *Le Projet communiste libertaire,* op. cit., p. 157.

22 Albert Michael, *L'Économie participaliste,* Agone, 2005.

أي مشروع ديمقراطي؟ 3/

بمجرد أن الآلة الإنتاجية لم تعد في يد طبقة مميزة، يفتح ذلك مجالًا واسعًا من الإمكانيات. ففي حين أن السوق هو من يقرر الجوهر في الرأسمالية، يجب أن تُحوّل «اشتراكية الاقتصاد» هذه السلطة إلى الجماعة... شريطة أن يحلّ سلطة شعبية حقيقية محل سلطة الدولة.

الدولة

كلمة مثيرة للجدل: الدولة»، كتب دانيال غيران وهو يروي إحراج باكونين وأصدقائه في» مؤتمرات الاتحاد الدولي الأول [23]. للتعبير عن رؤيتهم للمجتمع المستقبلي، الديمقراطي واللامركزي، أرادوا رفض هذا المصطلح ذي الدلالة السلطوية والبورجوازية: الدولة. لكن كيف يمكن الاستغناء عنها دون خلق سوء فهم؟ بالنسبة للجمهور العام، قد يشير غياب الدولة إلى خيال غير مقبول: إما مجتمعات أولية تتكون من عشائر الصيادين وقاطفي المزروعات، أو أزمنة مضطربة حيث يؤدي انهيار الحكومة المركزية إلى انتشار سلطات إقطاعية متنافسة، تتدخل فيها قوى أجنبية أحيانًا. الصومال بعد 1991، ليبيا بعد 2011... دول بلا دولة، لكنها ليست بلا قمع!

الفدرالية والسلطة الشعبية

في الواقع، لا تدعو الأنركية ببساطة إلى تدمير الدولة، بل إلى استبدالها بنظام حكم ذاتي اتحادي، منظم «من القاعدة إلى القمة ومن الأطراف نحو المركز» وفقًا لمصطلح باكونيني، يضمن ممارسة سلطة شعبية حقيقية.
كيف يمكن تسمية هذه البنية إذا لم يعد من الممكن تسميتها دولة؟ لم يتم تحديد المصطلح بشكل نهائي أبدًا. تحدث برودون عن «النظام الفيدرالي» الذي يجمع البلديات ثم المناطق، مع هيئة تنفيذية وطنية [24]. وتبعه باكونين بالحديث عن «الاتحاد الحر» [25] و«تضامن البلديات» الذي من شأنه «تنظيم المجتمع من القاعدة إلى القمة» [26]. وبتأثره بالمصطلحات النقابية، تحدث الاتحاد الإيبيري» CNT بيير بيسنار عن «الاتحاد العام للبلديات» [27]. وفي 1936، ذكرت للبلديات المستقلة والحرّة». بعد التحرير، تحدث الاتحاد الأنركي عن «المجلس بين المناطق للبلديات» [28]. وفي 1954، قدم الاتحاد الشيوعي الحر مصطلحي «الإدارة الذاتية» [29] و«الحكم الذاتي» [30]. ثم جاءت تسميات أخرى لاحقًا: «اتحاد المناطق المستقلة» مع «المجلس المركزي» في [32] 1991 ولـ AL لاتحاد العمال الشيوعيين الأحرار [31] 1988؛ «الاتحاد الذاتي الإدارة» لـ UCL 2019 [33] في.
في الفدرالية، وفق مبدأ التفويض الفرعي، يدير كل مستوى جغرافي الشؤون التي تخصه مباشرة دون تدخل من المستوى الأعلى.

خداع معادلة الدولة الليبرالية

من خلال إعلانهم عن ضرورة «دولة أقل»، خلقت «الثورة المحافظة» التي أطلقها ريغان وثاتشر في أوائل ثمانينيات القرن الماضي سوء فهم. فالنيوليبرالية لا تهدف إطلاقًا إلى تحرير المجتمع من الدولة، بل تريد «دولة أقل» لتحرير الأسواق، و«دولة أكثر» شرطية وعسكرية للتحكم في السكان والموارد الاستراتيجية في الخارج. معاداة الدولة النيوليبرالية هي ضرب من ضروب الخيال ليس إلا.

الخلاف مع اليسار الدولاني

الدولة الحديثة تتحمل وظائف متناقضة، إرث نضالات العمال والديمقراطية في الماضي. من جهة، تبقى أداة أساسية للطبقة الحاكمة، تحكم نزاعاتها الداخلية، وتحمي ممتلكاتها وسيطرتها، مستخدمة أجهزة القمع عند الحاجة. ومن جهة أخرى، فرضت عليها وظيفة حماية، وتوزيع، وخدمات عامة.

كونها دولة سيادية ودولة رفاهية في آن واحد، تُصنف الدولة الحديثة أحيانًا تحت «التسوية الاجتماعية الديمقراطية»: السلطة للرأسماليين مقابل ضمانات اجتماعية للبروليتاريا. البرنامج الوحيد لليسار الدولاني المعاصر هو الحفاظ على هذه التسوية، رغم أن الرأسماليين لم يعودوا يريدونها. استجابة لمطالبهم، تُلغي الدولة تدريجيا الخدمات العامة والحماية الاجتماعية. معظم الحركات الاجتماعية الكبرى منذ الثمانينيات كانت مقاومة لهذا الهدم المنهجي.

بعكس ذلك، يدافع الأنركيون عن الخدمات العامة والحماية الاجتماعية بلا قيد أو شرط، وصولًا إلى الانفصال الثوري الذي يتيح إعادة تنظيمها خارج إطار السوق.

الخلاف مع الماركسية

إذا كان الأنركيون والماركسيون يلتقون في الدفاع عن الخدمات العامة، فإنهما يختلفان بشأن مصير الدولة خلال العملية الثورية. في الماركسية الكلاسيكية، تُقدّم الدولة على أنها البنية الفوقية السياسية للرأسمالية. تحويل البنية التحتية الاقتصادية يؤدي بالضرورة إلى تحويل البنية الفوقية السياسية. لا طبقة برجوازية؟ لا حاجة للدولة، وستندثر من تلقاء نفسها.

أما الأنركية، فترى أن الدولة ليست مجرد بنية فوقية، بل هي بنية مستقلة تتكاثر ذاتيًا من خلال تكوين تكنوقراطية خاصّة. هذا ما تعلمناه من الدول «الاشتراكية» السابقة – من الاتحاد السوفيتي إلى كوبا، مرورًا بالصين وفيتنام.

التفويض الإلزامي **Mandat impératif**

لذلك يجب أن تتميز الفدرالية الذاتية الإدارة عن الدولة بدور المنتخبين في المجالس المحلية والإقليمية والمجلس المركزي. لا مكان لهم للعمل بحرية كاملة، وإلا سيُعاد إنتاج سلطة منفصلة عن الشعب. يجب أن يكون المنتخبون منفذين للتوجهات الكبرى التي صادقت عليها الديمقراطية، ضمن ما يسمى التفويض الإلزامي[34]، مع آليات ديمقراطية مثل الإقالة والتجديد المحدود.

إدارة الأشياء»... وحدودها»

كتب برودون أن الاشتراكية ستستبدل «حكم الأشخاص بإدارة الأشياء». كانت رؤيته لمجتمع عقلاني وعادل، يوزع العمل والثروة بشكل منصف. لكنها أيضًا قد ينظر إليها كيوطوبيا مقلقة: مجتمع بلا سياسة، تقني وإداري، بلا صراعات أو اختلافات حول القيم.

في الواقع، إلغاء الرأسمالية لن يقضي على نقاشات المجتمع. بعض القضايا العالقة: هل يجب السماح بالاستنساخ البشري؟ هل يجب تقنين بعض المخدرات؟ هل نحد من الذكاء الاصطناعي؟ هل نجيز الزواج للجميع؟ مكان الدين أو الإلحاد؟ هذه القضايا لا تتعلق بمجرد «إدارة الأشياء». ستُناقش بشكل مختلف في أوروبا الغربية، أمريكا الجنوبية، الشرق الأوسط أو الهند.

بقاء التيارات السياسية

في إطار عملية ثورية ذات طابع حر، لن يكون هناك «حكومة أنركية» تفرض القيم بالقوة لتحقيق المساواة بين الجنسين، القضاء على العنصرية، أو إلغاء الرقمنة المطلقة والخرافات. جميع الخيارات الكبرى ستكون من اختصاص التشريع المباشر للشعب. بالطبع، ستتواجد تيارات محافظة تتصادم مع أخرى تقدمية، تتبلور في جمعيات، أحزاب، أو نوادي، كل يسعى لتطبيق فكرته. هذا أمر طبيعي. المهم أن تعود السيادة النهائية للشعب.

لا للجمعياتية الدائمة

الأنركية ليست «ديمقراطية مطلقة» تفرض على الجميع حضور جميع الاجتماعات لإدارة العمل، الحي، المدرسة، الضمان الاجتماعي، المدينة، الإقليم والدولة... لا أحد يريد قضاء ساعات في الاجتماعات ليغطّ في النوم. لتبقى الديمقراطية محببة للشعب، يجب التركيز على بعض المناسبات الكبرى، واضحة ومؤثرة. الجمعياتية مفيدة جدًا، لكنها لا تصلح لكل شيء. في الوحدات الصغيرة، مثل الشركة، المدرسة، الحي، القرية، لا غنى عنها. أما على مستوى أكبر – المدينة، الإقليم، الدولة – فتصبح غير عملية.

الممارسة الجيدة للاستفتاء

ما توصي به FA 1945 (la Fédération anarchiste) 1986 والمشروع الشيوعي الحر *(Le Projet communiste libertaire)* هو استشارة الشعب دوريًا، في كل مستوى مناسب. مثال من العمل البلدي: بعد تحديد الاحتياجات، يمكن وضع عدة سيناريوهات لتخطيط الأراضي، بدراسات الجدوى والتأثير. وفي المرحلة الأخيرة، يصوت الناس للفصل بينها.
الفرق عن الاستفتاءات الحالية؟ جوهري: اختفاء اللوبيات والفاعلين الرأسماليين الذين يهيمنون على النقاش العام لمصالحهم الشخصية، على حساب المصلحة العامة.
مثال على اختيار ديمقراطي: نموذج الطاقة الوطني. في فرنسا اليوم، لو نظمت الدولة استفتاءً حول الطاقة النووية، سيكون النقاش مشوهًا بواسطة لوبيات ضخمة – EDF CEA Areva... – التي تنفق ملايين للدعاية والترويج. في مجتمع شيوعي حر، ستقل هذه التأثيرات كثيرًا، ما يتيح نقاشًا ديمقراطيًا «حرًا ونزيهًا» أكثر صحة.

مقاطعة سلطة الدولة

هذا سبب قول الأنركيين إن الديمقراطية الحقيقية مستحيلة في إطار الرأسمالية. لذلك، يقاطعون مؤسسات الدولة والانتخابات التمثيلية. الرأسمالية يمكن أن تتعايش مع دولة القانون، لكنها تتعارض مع ديمقراطية حقيقية. لهذا، مشروع الديمقراطية المباشرة الأنركي ممكن فقط في إطار اقتصاد مجتمعي.

23 Guérin Daniel, *L'Anarchisme, de la doctrine à l'action,* Gallimard, 1965.

24 Proudhon, *Du principe fédératif,* Dentu, 1863, p. 99.

25 Bakounine, *Socialisme, fédéralisme et antithéologisme* (1868), in *Œuvres complètes,* tome I, p. 156.

26 Au congrès de Bâle (1869), cité dans Guérin Daniel, *L'Anarchisme, op. cit.,* p. 87.

27 Besnard Pierre, *Les Syndicats ouvriers et la révolution sociale,* op. cit., p. 306.

28 FCL, *Manifeste du communisme libertaire,* 1953.

29 FA, *Les Anarchistes et le problème social,* 1945 (réédition 1978), p. 27.

30 FCL, *Manifeste du communisme libertaire,* 1953.

31 UTCL, *Le Projet communiste libertaire,* 1988, p. 167.

32 *Manifeste pour une alternative libertaire,* 1991.

33 *Manifeste de l'Union communiste libertaire,* 2019.

34 التفويض الإلزامي وإخلال تفوض المهام محل تفويض السلطة هو مفهوم أساسي في الفكر التحرري الأنركي (إضافة من المترجم)

ما هو النهج البيئي؟ 4/

تسارع الأزمة البيئية – والتي يُعد الاحتباس الحراري مجرد أحد جوانبها – يعيد تشكيل كل الزمن السياسي. فإما أن يتم تأميم الاقتصاد وإعادة توجيهه جذريًا قبل أن تصبح الوضعية لا رجعة فيها، أو نفشل في ذلك في الوقت المناسب، وقد يفتح الانهيار الذي يلوح في الأفق حقبة ثورية. ستضطر المجتمعات حينها إلى إعادة ابتكار نفسها في بيئة أكثر تقييدًا. وفي كلا الحالتين، ستقدم الأنركية إجابات.

في الأصول

في «مجموعة صغيرة» من الثوريين في المنفى الذين أطلقوا الحركة الأنركية في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر، اعتُبر عالمان مشهوران من رواد النهج البيئي: بيير كروبوتكين 35 وإليزيه ركلوس 36. على الرغم من إيمانهم بإمكانية الطبيعة غير المحدودة بفضل الابتكار التكنولوجي – بما يتوافق مع القرن التاسع عشر العلمي الذي عاشوه – فإنهم فكروا في المجتمعات البشرية أساسًا على أنها جزء من الطبيعة وليست خارجها. كتب ركلوس 37: «الإنسان هو الطبيعة وهي تدرك نفسها»، مشيرًا بذلك إلى مسؤولية خاصة: الحفاظ على «البيئة» التي يعيش فيها للحفاظ على نفسه.

ومع ذلك، كانت الشيوعية التحررية في بداياتها تحمل منطقًا غير بيئي إلى حد ما، إذ أنها لتجنب أي خطر بيروقراطي، كانت ترفض القياس والتخطيط، معتقدة أن الإنتاج «الحر» سيقضي على الاستهلاك «الحر». في عام 1892، في كتابه «غزو الخبز»، اعترض كروبوتكين على أن «الاستيلاء العشوائي» لا يمكن أن يكون قاعدة، وأن «التقنين» سيكون حتميًا. ومنذ بداية القرن العشرين، أعادت قوة النقابات العمالية – التي اعتبرت كجنين التنظيم الاقتصادي المستقبلي – الأنركية إلى الفكرة البرودونية عن تنظيم الإنتاج والاستهلاك.

لفترة طويلة، لم يكن للحركة الأنركية نهج بيئي شامل. كما بالنسبة للماركسيين، كانوا يعتقدون أن الرأسمالية ستدمرها ثورة ناتجة عن تناقضاتها الداخلية، ولم يدركوا وجود «حدود خارجية» لها، وفقًا لمصطلح الأمريكي موراي بوكشين (1921-2006)، أحد أبرز الناشطين الذين ساهموا في إدخال البيئة إلى الأنركية 38.

منذ السبعينيات، غيّر إدراك محدودية كوكب الأرض المعادلة. أصبح البعد البيئي مدمجًا بالكامل، وأصبح من المسلم به أن الشيوعية التحررية يجب أن تصل إلى «نقطة التوازن بين القدرات الإنتاجية، واحتياجات السكان، وقدرات الغلاف الحيوي» 39، وهي نقطة لا يمكن أن يصل إليها السوق الرأسمالي بطبيعته أبدًا.

البيئة الاجتماعية

بعيدًا عن الانحرافات «الروحية» أو الميول المعادية للبشر في البيئة العميقة، وعن المواقف المضادة للتكنولوجيا لدى التيارات البدائية، أكد بوكشين أن من يهدد الغلاف الحيوي ليس «الإنسانية» ولا «المجتمع الصناعي»، بل العلاقات الاجتماعية التي تولدها الرأسمالية. بل وحتى،

لتجاوز ذلك، العلاقات السلطوية (الذكورية، الدينية...) لأنها تشرعن فكرة أن الإنسان يجب أن يهيمن على الطبيعة.

الدافع الأساسي للرأسمالية هو النمو: يجب باستمرار البيع والبناء والهدم لإعادة البناء، وصناعة منتجات قابلة للتلف للبيع مجددًا، وابتكار مشاريع ضخمة وغير ضرورية لمواصلة السباق نحو الأمام... كتب بوكشين 40: «لا يمكن إقناع الرأسمالية بالحد من نموها أكثر من إقناع الإنسان بالتوقف عن التنفس». الدول والشركات متعددة الجنسيات التي تعلن بين الحين والآخر عن حماية الكوكب هي نفسها التي تتحدث بالموازاة عن «إعادة إطلاق النمو». التناقض لا يمكن حله.

الرأسمالية الخضراء»، «النمو الأخضر»، «التنمية المستدامة»: شعارات تعمي من لا يريدون» رؤية الكارثة الجارية... أما الاشتراكية الدولانية (أو إشتراكية الدولة) – التي هي في الواقع رأسمالية بيروقراطية – في الاتحاد السوفيتي أو الصين، فلم تكن أكثر فضيلة، بل على العكس. تقدم الأنركية طريقًا آخر.

انخفاض الاستهلاك

لو كان لكل دولة مستوى معيشة يعادل الولايات المتحدة، لاحتجنا إلى خمس كواكب لدعم البشرية؛ وثلاث لفرنسا؛ وكوكبان للصين أو البرازيل...

لوقف هذا الاستغلال المفرط قبل نفاد قدرة الكوكب البيولوجية، تدعو الأنركية إلى انخفاض جماعي وديمقراطي ومدروس في الاستهلاك:

جماعي، لأن هذا الانخفاض لا يمكن أن يقتصر على «مبادرة فردية للتقشف الطوعي»، وهي فلسفة حياة مشكورة لكنها بلا تأثير على الرأسمالية 41.

يقنن الغالبية العظمى من السكان لصالح «écofasciste ديمقراطي، رفضًا لنظام «إيكوفاشي طبقة صغيرة متميزة.

مدروس، لأن هذا الانخفاض يجب أن يكون «مختلفًا حسب مناطق العالم» 42. فبينما البصمة البيئية لدول الشمال ضخمة، تعاني العديد من دول الجنوب من نقص البنى التحتية للنقل والتعليم والصحة.

وإذا أدركنا انهيار الاقتصاد المعتمد على النفط قبل الإطاحة بالرأسمالية؟ سيتعين إعادة اختراع المجتمع على قواعد جديدة، لكن في بيئة أكثر تقييدًا. ستكون الأنركية أكثر حضورًا من أي وقت مضى، لأن الحلول التي تقترحها – التأميم، الإدارة الذاتية، التخطيط، اللامركزية، الدوائر القصيرة، التكنولوجيا المنخفضة... – تعزز القدرة على الصمود. كما أنها تتماشى مع معظم المبادرات المعروفة بـ«التحول» التي تتزايد عالميًا لإحداث ثورة في الإنتاج والتبادل والاستهلاك.

ثورة في الإنتاج

ستتمكن الشركات المؤممة، المعفاة من سباق الربح، من القضاء على الهدر، والأخطاء، والمنتجات الرخيصة، والمنتجات المستهلكة، وتقادم المنتجات المخطط له الذي يميز الرأسمالية.

ستصبح القاعدة تصميم منتجات مقتصدة، دائمة، قابلة للإصلاح وإعادة التدوير؛ وتقليل التغليف والإعلانات إلى الحد الأدنى؛ واستخدام الموارد المتجددة والمحلية. سيكون بالإمكان أيضًا وقف الإنتاج غير الضروري أو الضار: الكماليات، الأدوات التافهة، المبيدات، المواد القاتلة لأوراق الشجر، الوجبات السريعة، الأسلحة النووية، ووسائل التدمير الشامل.

قطاع الأغذية الزراعية – ومعه المجتمع بأسره – سيكون أحد المستفيدين الرئيسيين من هذه الثورة. دون قيود السوق العالمي، لن يكون لنموذج الزراعة الكيميائية المكثفة التي يديرها مزارع وحيد يقبع تحت الديون ومتعب أي مبرر. يمكن للزراعة المحلية أن تزدهر: مزارع بحجم بشري تُدار من قبل مجموعات حقيقية، تقلل ساعات العمل؛ زراعة مختلطة وعضوية، مدعومة

بتوافر البذور مجانًا وحركتها الحرة.
التحول نحو الطاقة المتجددة – الرياح، المياه، الطاقة الشمسية، الكهرومائية، الكتلة الحيوية، الطاقة الحرارية الأرضية... – سيكون ممكنًا بعيدًا عن تأثير لوبيات النفط والنووي، وبطريقة لامركزية وفدرالية، وفق نموذج يختلف جذريًا عما يقوم به الرأسماليون اليوم.

ثورة في التبادل

مقاومة التجارة الحرة والعولمة الرأسمالية ونقل الإنتاج إلى الخارج، هو صراع بيئي بامتياز. إعادة توطين الإنتاج ضروري للرقابة الذاتية وأيضًا لتقصير الدوائر. فالتمدد العالمي لسلاسل الإنتاج يجعل مكونات المنتج الواحد تسافر آلاف الكيلومترات، ما يولد انبعاثات ضخمة من الغازات الدفيئة.
ثورة التبادل تعني أيضًا إعادة توجيه التخطيط الحضري، بتقريب أماكن العمل من مناطق السكن، وإعطاء الأولوية للنقل الجماعي، ووسائل التنقّل غير الملوِّثة (الدراجات، المشي)، و التشارُك في المركبات الفردية.
الإدارة الذاتية ستمكن أيضا من تحديد قيود للروبوتات، والغزو الرقمي، والذكاء الاصطناعي، للحفاظ على أولوية الإنسان على الآلة، وللتقليل من استخراج المعادن النادرة التي تغذي الصناعة الإلكترونية.

ثورة في الاستهلاك

التخطيط الذاتي الذي تدعو له الأنركية يسمح بتحديد سقوف الاستهلاك التي يمكن للمجتمع تحملها بعد نقاش عام. الغذاء، والبناء، والطاقة تقدم أمثلة واضحة. من المعروف أن النظام الغذائي الغربي، الذي يركز على اللحوم، أدى إلى توسع الأراضي المخصصة لتربية المواشي – التي تستهلك الماء بكثرة وتصدر الكثير من الغازات الدفيئة. يمكن للمجتمع اختيار نظام غذائي أقل اعتمادًا على اللحوم، ما يقلل تربية الماشية ويمدد الأراضي المزروعة بالحبوب والخضار.
في مجال البناء، لن يكون هناك حاجة لمشاريع ضخمة غير ضرورية لدعم النمو؛ يمكن إعادة توجيه قطاع البناء نحو تحسين الموجود، خصوصًا العزل الحراري للمباني.
أما بالنسبة للطاقة، فيجب تقليل الاستهلاك، وهو الشرط الأساسي للخروج من الطاقة النووية والوقود الأحفوري، والسماح باللامركزية في الإنتاج.

التعاون ضد المنافسة

كتب كروبوتكين، في قراءته لأعمال داروين: «من الأنسب للبقاء: من هم في صراع مستمر مع بعضهم البعض، أم من يدعم بعضهم البعض؟» وأجاب: «الحيوانات التي اكتسبت عادات التعاون، لها فرص أكبر للبقاء، وتصل في فئاتها إلى أعلى درجات الذكاء والتنظيم الجسدي» 43. بينما تستنزف الحرب الاقتصادية موارد الكوكب، وتهدد البشرية نفسها. كيف يمكننا ألاّ نتأمل في هذه الملاحظة؟

35 Purchase Graham, « Peter Kropotkin. Ecologist, Philosopher and Revolutionary », université de Nouvelle-Galles du Sud, Australie, 2003.

36 Pelletier Philippe, « Élisée Reclus, théorie géographique et théorie anarchiste », sur Aggiornamento.hypotheses.org, 2012, consulté le 17 septembre 2018.

37 Élisée Reclus, *L'Homme et la terre,* Librairie universelle, 1905-1908.

38 Pour une introduction synthétique : Gerber Vincent et Romero Floréal, *Murray Bookchin. Pour une écologie sociale et radicale,* Le Passager clandestin, 2014.

39 Congrès AL, 2006.

40 Bookchin Murray, *Une société à refaire. Vers une écologie de la liberté,* Écosociété, 2010.

41 Congrès FA 2004.

42 Congrès AL 2006.

43 Kropotkine, *L'Entraide, un facteur de l'évolution,* Hachette, 1906, p. 6.

أي نهج نسوي؟ 5/

بعد مرورها بعدة مراحل تجاه النسوية، جعلت الحركة التحررية الأنركية من هذا الموضوع أحد معاركها الأساسية. فالأمر لا يقتصر على بناء بديل للرأسمالية فحسب، بل يشمل أيضًا إلغاء النظام الأبوي.

مسار التطور

إذا كانت الأنركية اليوم متأثرة بشدة بالفكر النسوي، فإن الأمر لم يكن دائمًا كذلك. فقد مرّ تاريخها بمراحل مختلفة، أحيانًا متقدمة، وأحيانًا متأخرة، وأحيانًا متماشية مع الحركة النسوية، على الأقل مع بعض تياراتها.

المساواة عند باكونين (1866-1879)

أثناء نشأتها، تشكلت الأنركية جزئيًا ضد الجوانب المحافظة والأبوية لبرودون، الذي كان يرى في النساء دونية حتمية. وكان يعتقد أن الزواج والحياة المنزلية هما السبيل الوحيد للحفاظ على النساء من الانحدار، ومن هنا صيغته الشهيرة التي تقول إن «المرأة» لا يمكن أن تكون إلا «ربة بيت أو عاهرة» 44. رفض ميخائيل باكونين وأنصاره هذا الرأي، ودعوا بدلًا من ذلك إلى «المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق السياسية والاجتماعية»، والوصول المتساوي إلى التعليم، واستبدال الزواج المدني والديني بالاتحاد الحر 45. في هذا، كان باكونين متماشيًا مع «الموجة النسوية الأولى» التي طالبت بالمساواة القانونية والمدنية - ولم تكن القضية بعد تتعلق بتحدي تقسيم المهام بين الجنسين أو المعيار الجنسي التقليدي. الاستثناء الوحيد كان حق التصويت، حيث رفضت الحركة الأنركية حتى الثلاثينيات المطالبة بحق النساء في التصويت.

العودة إلى الامتثال الأبوي (1879-1900)

تلاشت بسرعة المساواة الموروثة عن باكونين، في ظل صراع بين الجمعيات النسوية، التي كانت في الغالب بورجوازية، والحركة العمالية، التي كانت رجولية بطبعها. ومع ذلك، استمر عدد قليل من النشطاء في كلا المعسكرين في ربط التحرر الاجتماعي بالتحرر النسوي. ومن بين الأصوات الأنركية التي سارت في هذا الاتجاه، تبرز لويز ميشيل، التي قالت إن «العاملة عبدة، لكن المرأة العاملة عبدة أكثر» 46، وكذلك النسويات الأمريكيات إيما جولدمان وفولتيرين دي كلير.

عودة القضايا النسوية (1900-1914)

كان هناك أنركيون مثل بول ديلسال، إميل (CGT) في صفوف الاتحاد العام للعمال الشباب بوجيه، جورج إيفيتو وبيير دومانس يدافعون بثبات عن تنظيم العاملات ومطالبهن الخاصة. وعلى الرغم من مقاومة الحركة للحق في التصويت، كانت في طليعة القضايا المتعلقة بالحرية الجنسية، وسائل منع الحمل، والاتحاد الحر، رغم أنه لم يكن حلاً شاملاً. وأكدت الليبرتارية نيلي روسيل على البعد الاقتصادي: طالما بقيت المرأة معتمدة على الرجل، «الزواج النظامي، الاتحاد الحر، و"المجاملة galanterie" غير الشرعي أو ... في الأخير هي كلها نفس الشيء بالنسبة للمرأة» 47.

تراجع نسبي (1918-1968)

مع تحقيق المطالب المدنية واحدة تلو الأخرى، تراجعت الحركة النسوية. وفي الأنركية — في إسبانيا 1936-1938 - تراجعت قضية المرأة إلى المرتبة Mujeres Libres باستثناء حالة الثانية، وتم تجاهلها عمومًا في البرامج المعتمدة خلال هذه الفترة 48. ومع ذلك، استمر النضال من أجل الحق في التحكم في الجسد، ومن عشرينيات القرن العشرين حتى خمسينياته، تعرض العديد من الأنركيين للملاحقة بسبب إجراء عمليات قطع القنوات المنوية والإجهاض السري أو توزيع وسائل منع الحمل.

الاندماج الكامل (1968 حتى اليوم)

أعطى عام 1968 دفعة لـ «الموجة النسوية الثانية» التي أثرت على الأنركية والحركة الثورية ككل. بعد تحقيق معظم الحقوق المدنية، تركزت المطالب الآن على الحرية الجسدية (الجنس والإجهاض)، والمساواة الاقتصادية والاجتماعية، وتفكيك النوع الاجتماعي 49. وكان هذا نقطة تحول للتيار اليساري المتطرف، الذي بدأ تدريجيًا في دمج النسوية كجبهة نضالية مستقلة. وبالرغم من المقاومة، أصبح تحرير المرأة موضوعًا جديرًا بالنقاش في المؤتمرات، وأدرج في التوجهات السياسية والمشاريع المجتمعية. وتم التشكيك في الذكورية المرتبطة بالصور الثورية التقليدية، وكذلك في تمثيل الرجال المفرط في أدوار التنسيق والتمثيل. فالاضطهاد النسوي نظام، وله الآن اسم: الأبوة.

مناهضة الأبوة والتمييز الجنسي

الأبوة نظام للهيمنة السياسية والاقتصادية قائم على تقسيم العمل حسب الجنس، حيث تُحصر النساء في المجال الخاص، ويؤدين معظم العمل المجاني — 72% أكثر من الرجال في فرنسا بينما يُشجع الرجال على السيطرة على المجال العام. هذا التوزيع — INSEE عام 2010 حسب للأدوار يغذي الصور النمطية الجنسية، التي تفترض أن كل جنس يمتلك صفاتاً وعيوباً "فطرية": الغريزة الأمومية، اللطف والعاطفة للنساء؛ والقسوة والعقلانية للرجال. هذه الأحكام المسبقة تشكل المخيلة الجماعية، ويستوعبها حتى النساء أنفسهن، ولهذا فإن النضال ضد التمييز الجنسي، مثل النضال ضد العنصرية أو رهاب المثليين، يحمل بعدًا أيديولوجيًا وثقافيًا مهمًا 50.

الأنركو-نسوية

نظرية نسوية خاصة بها. وعلى الرغم من التسمية فمن الصعب ربط مصطلح «الأنركو-نسوية» بعقيدة مستقلة؛ إنها تسمية ظرفية. ظهر المصطلح لأول مرة عام 1982 عندما تبنت الفدرالية الأنركية النرويجية «بيان الأنركو-نسوية». وتطور لاحقًا بعد عقد عند انعقاد مؤتمر «أناركو-نسوي» في سانت-ديني (Saint-Denis) على هامش مؤتمر الاتحاد الدولي للفيدراليات (منطقة الأنركية، حيث أرادت المنظمات النسوية «تأنيث الحركة الليبرتارية بإضافة منظور آخر وممارسات مختلفة» و"أناركوية الممارسات النسوية برفض سلطة الأخوة المطلقة، مع تسمية اختلاف المصالح وبالتالي الأهداف للتيارات السياسية داخل حركات النساء 51".

النسوية المادية

من بين التيارات المختلفة - الليبرالية، التفريقية، "صراع الطبقات" — الأنركية المعاصرة تتماهى أكثر مع النسوية المادية، إذ تحلل النوع الاجتماعي كتركيب تاريخي واجتماعي، وترى في الأبوة والرأسمالية نظامين مستقلين لكن مترابطين. ولن يؤدي زوال الرأسمالية بالضرورة إلى زوال

الأبوة، لكن المساواة المادية التي تعد بها الشيوعية الليبرتارية ستساعد على ذلك.

دمج نضالات **LGBTI**

بتقسيم المجتمع إلى جنسين مفترضين، تفرض الأبوة نظامًا مغايرًا ينكر،اذا اقتضى الأمر بالعنف، الأشخاص المثليين والمزدوجي الجنس والمتحولين جنسيًا. لذا، فإن ظهور الأقليات الجنسية التي تكافح من أجل المساواة يسهم في إضعاف النظام الأبوي ككل.

ضد العنف الجنسي

العنف ضد النساء - الاغتصاب، العنف الأسري، التحرش، القتل على أساس الجنس، تشويه الأعضاء التناسلية، الزواج القسري، جرائم الشرف... - يمثل جوهر الأبوة. وجوده يهدف بالأساس إلى إبقاء المرأة في موقع الخاضعة. حتى النساء اللواتي لم يتعرضن مباشرة لهذه الأفعال يعانين من العنف الرمزي المتمثل في تسليع جسد المرأة، من خلال الدعارة 52، الإعلانات الجنسية، ومعظم الإنتاج الإباحي. لمواجهة ذلك، تدعو الأنركية إلى التنظيم الذاتي للنساء وتثقيف الرجال المضاد، لتقليص الثقافة التي تعتبر جسد النساء متاحًا لهم، والتآمر على الصمت لرفض العدالة للضحايا.

الاتحاد الحر والزواج

لطالما دعمت الأنركية الاتحاد الحر، لأن الزواج يضع الزوجة قانونيًا تحت وصاية زوجها. ففي فرنسا، على سبيل المثال، نصّ قانون نابليون لأكثر من 130 عامًا على عدم أهلية المرأة المتزوجة قانونيًا: لا تستطيع توقيع العقود، إدارة ممتلكاتها، العمل بدون إذن زوجها، قبض راتبها بنفسها، السفر إلى الخارج بدون موافقته، رفض الجماع، طلب الطلاق، أو ممارسة الوصاية على الأطفال. فلماذا كانت النساء مع ذلك يرغبن في الزواج؟ من الضرورة الاقتصادية. ومن هنا جاء التشبيه الشائع بين الزواج والدعارة 53..

بعد إلغاء عدم المساواة القانونية بين الزوجين، لم تعد الأنركية تنتقد الزواج بنفس المصطلحات، بل أيدت غالبًا فتح الزواج للأزواج من نفس الجنس، باسم المساواة في الحقوق، وتقويض المعيار الجنسي التقليدي. لم يختفِ النقد، لكنه تغير: للسخرية من الطابع الاستهلاكي لحفلات الزفاف أو لمطالبة بحقوق متساوية للأزواج المتزوجين مقارنة بغيرهم أو مقارنة بالعزاب.

الاستقلالية

ترغب الأنركية في تغيير أدوار وعقليات الرجال والنساء على حد سواء. ولكن، على الرغم من هذا الهدف «المختلط»، ترى أن النضال ضد التمييز الجنسي يجب أن يقوده سياسيًا النساء، لأنهن الأكثر استفادة منه. لهذا السبب، يمكن أن يشمل هذا النضال فضاءات غير مختلطة مؤقتة ومختارة 54. هذه المساحات لا تعني الانفصال ولا تُستعمل دائمًا... لكن الاعتراف بشرعيتها يضمن للناشطات الأنركيات القدرة على التخطيط والعمل باستقلالية كاملة.

44 Proudhon, *Système des contradictions économiques ou Philosophie de la misère,* tome II, Guillaumin & Cie, 1846, p. 254.

45 Angaut Jean-Christophe, préface à Bakounine Michel, *Principes et organisation de la société internationale révolutionnaire,* Le Chat ivre, 2013.

46 Michel Louise, *Mémoires,* F. Roy, 1886.

47 Roussel Nelly, « Féminisme », *Le Libertaire,* 13 février 1904.

48 لا يَرِدُ أيُّ ذكرٍ لذلك، على سبيل المثال، لا في برنامج الاتحاد الأنركي الإيطالي (1920)، ولا في منصة ماخنو وأرشينوف (1926)، ولا في المشروع الاجتماعي للاتحاد الأنركي الفرنسي (1945)، ولا في بيان الشيوعية التحررية للاتحاد الشيوعي التحرري (FCL) عام 1953.
والاستثناء البارز هو "اللائحة المتعلقة بالمفهوم الكونفدرالي للشيوعية التحررية" للاتحاد الوطني للعمل الإسباني (CNT) سنة 1936، إذ تتضمن فصلاً حول المساواة بين النساء والرجال.

49 La déconstruction du genre
تفكيك النوع الاجتماعي يشير إلى مقاربة فكرية واجتماعية تقوم على التشكيك في فكرة أن النوع الاجتماعي (رجل/امرأة) أمر طبيعي، ثابت، أو يقوم فقط على الأسس البيولوجية.

50 FA, *L'Anarchisme aujourd'hui, un projet pour la révolution sociale,* 1998.

51 Rua Claude, Pothier Marie-Jo, Hernandez Hélène, Claude Élisabeth, « L'anarcha-féminisme », *Réfractions* n° 24, printemps 2010.

52 Congrès AL 2006 ; CGA, « La lutte antipatriarcale », 2011 ; congrès FA 2014.

53 Voir, entre autres, Goldman Emma, « Traffic in Women », *Anarchism and Other Essays,* Mother Earth Publishing Association, 1911.

54 CGA, « La lutte antipatriarcale », 2011 ; congrès AL 2006 ; *Manifeste de l'UCL,* 2019.

أي سياسة أممية؟ /6

لا تحرّر وطني من دون تحرّر اجتماعي: قد تكون هذه العبارة هي الصيغة الأوضح التي تلخّص المقاربة الأنركية لمسألة القوميات. ويعود الفضل في صياغتها الأولى إلى ميخائيل باكونين – مرة أخرى.

قبل أن يبلور الأنركية في أواخر ستينيات القرن التاسع عشر، كان باكونين، بلغة عصرنا، ثوريًا مناهضًا للإمبريالية. فقد تأثّر بعمق بـ«ربيع الشعوب» (1848–1849)، وكان التيار السياسي الذي كان من أبرز رموزه يراهن على انتفاضة الأمم الخاضعة. فمن خلال تفكيك الإمبراطوريات الروسية والعثمانية والنمساوية القديمة، كان يُفترض أن تنتشر موجة ديمقراطية ثورية في كامل القارة الأوروبية.

غير أنّ التجربة أظهرت ازدواجية نضالات "التحرّر الوطني"، إذ تحمل في طياتها إمكانات تقدمية وأخرى رجعية في آن واحد. ولكي لا تُفضي إلى قيام دول-أمم جديدة تمتلك طبقتها الرأسمالية الخاصة وتضطهد بدورها أقليات "غير أصلية"، كان من الضروري أن تقترن هذه النضالات بمشروع فدرالي ومساواتي.

هذا ما عرضه باكونين في أيلول 1868 خلال مؤتمر « رابطة السلام والحرية"، وهي جمعية أوروبية سلمية كان الثوريون يأملون في تحويلها إلى أداة تخريب للنظام القائم. والعقيدة التي طوّرها في ذلك المنبر 55 (la tribune) ألهمت لاحقًا السياسة الأممية للأنركية 56، ويمكن تلخيصها في ثلاثة محاور.

رفض القومية

في خطابه عام 1868، اعتبر باكونين القوميات "واقعًا طبيعيًا" لا ينبغي بأي حال تحويله إلى "مبدأ" سياسي، أي مبدأ القومية. كما رفض تصنيف القوميات على أسس إثنية-لغوية أو إثنية-ثقافية أو إثنية-دينية، وأكّد أنّ لكلّ كومونة الحقّ في "الحرية" في أن تعترف بنفسها ضمن قومية ما أو لا تعترف. ومن ثمّ، كان على الثوريين، في صفوف الشعوب المهيمن عليها كما في صفوف الشعوب المهيمنة، أن يحاربوا الإيديولوجيا القومية التي تمجّد «مجد الدول وعظمتها وقوّتها».

وانسجامًا مع هذا الخط، تقرّ الأنركية المعاصرة بوجود القوميات بقدر ما تتماهى معها جماعات بشرية، لكنها ترفض أي مسعى إلى تحديد "هوية وطنية" جامدة تؤدي حتمًا إلى إقصاء الأقليات التي لا تنسجم مع القالب المفروض. صحيح أنّ نشوء وعي قومي قد يسبق قيام دولة، كما لاحظ باكونين ورفاقه، وكما تظهر أمثلة فلسطين وكردستان والباسك والسامي 57 وغيرها، لكن في معظم الحالات كانت دول قائمة أصلًا على أسس سلالية أو استعمارية هي التي سعت إلى "صنع أمة" لتكريس شرعيتها التاريخية، ولو عبر اختلاق نسب وتاريخ – ما يُعرف بـ"الرواية الوطنية". وقد لخّص الأنركي الألماني رودولف روكر هذا المنطق بقوله: "الأمة ليست سبب الدولة بل نتيجتها. الدولة هي التي تخلق الأمة، لا الأمة التي تخلق الدولة". ومن ثمّ، يجب محاربة الوطنية 58 بوصفها أداة للدولة لخنق الاحتجاج باسم وحدة الأمة.

الفدرالية الاشتراكية

كانت رابطة السلام تهدف إلى إقامة «الولايات المتحدة الأوروبية» بروح ليبرالية على طريقة فيكتور هوغو. غير أنّ باكونين أعلن من على المنبر أنّ هذا الأفق الفدرالي لا يمكن أن يتحقق بوجود دول "مركزية وبيروقراطية وعسكرية". فالشرط المسبق هو أن يعمل المناضلون، في "أوطانهم الخاصة"، على الثورة من أجل "استبدال التنظيم القديم القائم، من الأعلى إلى الأسفل، على العنف ومبدأ السلطة" بـ"اتحاد حرّ للأفراد في الكومونات، وللكومونات في الأقاليم، وللأقاليم في الأمم، ثمّ لهذه في الولايات المتحدة الأوروبية أولًا، ولاحقًا في العالم بأسره". وفي هذا الإطار، كان لا بدّ من رفض مفهوم "الحقّ التاريخي" لدولة ما في إقليم ما، والاعتراف لكلّ إقليم بالحقّ المطلق في "الانضمام الحر" او "الانفصال".

ولا يزال هذا الخيار الفدرالي الاشتراكي ركيزة أساسية في الأنركية المعاصرة، بصياغات قريبة جدًا من طرح باكونين.

التحرّر الوطني والتحرّر الاجتماعي

إزاء نضالات الشعوب المستعمَرة والمضطهَدة، دعا باكونين عام 1868 إلى التضامن الثوري مع "كلّ انتفاضة وطنية ضدّ أي اضطهاد، سواء كان أجنبيًا أو داخليًا"، ولكن بشرطين:

أولًا، أن تسعى إلى أهداف فدرالية وديمقراطية لا قومية محضة.

ثانيًا، ولتجنّب التلاعب بها من قِبل قوى أجنبية، أن ترفض "أي تحالف" مع "دول ملكية، حتى وإن كان هدف هذا التحالف استعادة استقلال أو حرية بلد مضطهَد".

وقد كان هذا البعد الثالث من التوجّه الباكونيني الأكثر حساسية في التطبيق. فحركات الاستقلال غالبًا ما سعت إلى تدويل قضاياها وكسب دعم قوى تنافس عدوّها الرئيسي. فهل كان ينبغي، لهذا السبب، التخلي عنها؟ لقد جاءت الممارسة الأنركية على نحو مختلف.

في البلدان المهيمنة

عارض الأنركيون جميع أشكال الإمبريالية، لكنهم قبل كلّ شيء عارضوا إمبريالية دولتهم الخاصة. ومن الأمثلة: الاحتجاج على الحملات الاستعمارية الفرنسية (تونكين 1885، مدغشقر 1895، المغرب 1905–1912)، التضامن مع الانتفاضة الكوبية (1896–1898)، انتفاضة برشلونة ضدّ الحملة الاستعمارية في المغرب عام 1909، مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا (1911–1912)، دعم استقلال الهند الصينية (1946–1954)، معارضة الأنركيين اليابانيين لاستعمار كوريا، الدعم الأممي للانتفاضة الفلسطينية الأولى ثم الثانية، فضح منظومة «فرنسا–إفريقيا»، وغيرها.

وفي بعض الحالات، أُقيمت روابط مباشرة مع قوى مناهِضة للاستعمار. ففي 1954–1957 قدّمت "الفدرالية الشيوعية التحررية" دعمًا لوجستيًا للحركة الوطنية الجزائرية ثم لجبهة التحرير الوطني. وفي 1984–1988 حظيت قضية الكاناك بإجماع الحركة التحررية الفرنسية كما يدعم الأنركيون .USTKE التي دعمت جبهة التحرير الوطني الكاناكية الاشتراكية ونقابة في البرازيل والبيرو وبوليفيا وتشيلي والأرجنتين نضالات الأمم الهندية. وفي إسرائيل خلال سنوات 2000، تعاون "الأنركيون ضدّ الجدار" مع لجان فلسطينية لمناهضة الفصل العنصري (أبارتهايد). ويمكن ذكر التضامن مع الزاباتيين في تشياباس منذ 1994، ومع اليسار الكردي منذ 2014.

في البلدان المهيمن عليها

عندما يكون التيار الأنركي متمركزًا في بلدان مستعمَرة أو محتلة، فإنه يشارك عادة في نضال التحرر الوطني، ويقيم تحالفات تكتيكية – أحيانا متوترة – مع مكونات أخرى من المقاومة. ففي الجزائر، ناضلت "الحركة التحررية لشمال أفريقيا" إلى جانب الحركة الوطنية الجزائرية قبل أن تُسحق بالقمع. وفي مقدونيا الخاضعة للحكم العثماني، شكّل الأنركيون بين 1897 و1903 الجناح اليساري للكفاح المسلّح الاستقلالي إلى جانب قوميين بلغار كانوا يعارضون رؤاهم. وفي كوريا، بين 1919 و1945، كانت الأنركية مكوّنًا معترفًا به في مقاومة الاستعمار الياباني إلى جانب تيارات قومية أو ستالينية بعيدة عن أهدافها. وفي كيبيك، تبنّت الأنركية القضية الاستقلالية في سبعينيات القرن العشرين قبل أن تنفصل عنها في التسعينيات حين رأت أنّ المجتمع الكيبيكي لم يعد مضطهَدًا من الدولة الكندية.

غير أنّ مقاومة قوة أجنبية استُخدمت أحيانًا ذريعة للدوس على الأممية. وقد ترك عام 1914 ذكرى مريرة في هذا الصدد، حين رفع أنركيون في مختلف البلدان هذا الشعار لتبرير إخضاع نضالهم لـ"الدفاع الوطني"، أسوة بمعظم الاشتراكيين والنقابيين. ولم يجرؤ إلا قلّة، بعد فترة من الإحباط، على معارضة الحرب الإمبريالية علنًا. وفي أوائل شباط 1915، كان البيان الأنركي المناهض للحرب، الموقّع من 37 مناضلة ومناضلًا من بلدان متحاربة ومحايدة، من أوائل الأصوات التي أعادت رفع راية الأممية داخل الحركة العمالية.

الاستقلالية الإنتاجية

تغذّي العولمة الرأسمالية، بما تخلّفه من آثار اجتماعية وبيئية مدمّرة، الجدل بين «الحمائيين» و«أنصار التجارة الحرة». وبينما يُطلب من الحركة العمالية اختيار أحد المعسكرين، ترفض الأنركية هذا التقابل: فالرأسماليون ينتقلون بين الحمائية والتجارة الحرة بحسب القطاعات واللحظات والمصالح، والمهمّ في الحالتين هو احتفاظهم بالملكية والسيطرة والأرباح.

في مواجهة ذلك، تدافع الأنركية عن طريق بديل لصالح شعوب الشمال والجنوب معًا: حرية التنقّل والإقامة للمهاجرات والمهاجرين؛ إعادة توطين الإنتاج محليًا؛ تبادلات قصيرة السلسلة وتحت سيطرة العاملات والعمّال. والهدف هو التوجّه نحو «استقلالية إنتاجية» لكلّ منطقة من مناطق العالم [59].

الأممية

لإعطاء هذه البدائل مضمونًا عمليًا، شاركت الحركة الأنركية، منذ نشأتها في أحضان الأممية الأولى، في شبكات تضامن متعدّدة. يمكن ذكر "الأممية النقابية الثانية" التي تأسست عام 1922 على أسس نقابية ثورية، واليوم "التنسيق الأحمر والأسود" الذي يجمع منظمات أناركو-نقابية في أوروبا. كما أنّ معظم هذه المنظمات أعضاء في "الشبكة النقابية الدولية للتضامن والنضال" التي أُطلقت عام 2013 بمبادرة من CGT الإسبانية و Solidaires الفرنسية و CSP-Conlutas البرازيلية على أسس مناهِضة للرأسمالية وتسييرية ذاتيًا. كذلك أنشأت الحركة الأنركية هياكلها الأممية الخاصة، مثل «أممية الفدراليات الأنركية» عام 1968، وشبكة «أناركيسمو» الشيوعية التحررية عام 2005.

مناهضة عنصرية سياسية

تستمدّ مناهضة العنصرية في الحركة الأنركية جذورها من مصادر عدّة:

الأول هو الأممية العمالية للأممية الأولى، التي كرّست التضامن مع العمّال المهاجرين.

الثاني هو رفض التمييز ضدّ الأقليات (السود والأمريكيين الأصليين واللاتينيين في الولايات المتحدة، الأرمن والأكراد في تركيا، اليهود في روسيا أو فرنسا، الكوريين في اليابان...).

والثالث هو الالتزام المناهض للاستعمار.

إنّ تلاقي هذه المواريث، بدرجات متفاوتة بحسب البلدان والتنظيمات، يدفع الأنركية المعاصرة إلى اعتبار العنصرية نظامًا لتقسيم الطبقات الشعبية لصالح السلطة. ويهدف الردّ الأنركي، المرتكز على نقد الدولة-الأمة، إلى تأسيس المواطنة لا على "هوية وطنية" إقصائية، بل على مكان العيش والعمل. ومع نقده للأديان والخرافات، يعارض في الوقت نفسه التمييز الديني، ولا سيما – في فرنسا – ضدّ الأقلية المسلمة 60.

وفي الختام، ترى الأنركية في مناهضة العنصرية قيمة حيوية لتماسك البروليتاريا في الصراع الطبقي؛ فهي ليست مجرد موقف إنساني، بل موقف سياسي في جوهره 61.

55 Discours reproduit in Guérin Daniel, *Ni dieu ni maître. Anthologie de l'anarchisme,* tome I, La Découverte, 1999.

56 هذا التوجّه الذي قُدّم للمؤتمر التابع للرابطة كان مستوحى من برنامج الأخوية الثورية، الذي صاغه باكونين عام 1865. الغالبية المعتدلة في الرابطة رفضته. عندئذ، انشقت الأقلية الثورية وأسست التحالف الدولي للديمقراطية الاشتراكية، الذي طلب بعد فترة وجيزة الانضمام الى الأممية الأولى.

57 شعوب تعيش في أوروبا الشمالية.

58 Rocker Rudolf, *Nationalisme et Culture,* Éditions libertaire/Éditions CNT-RP, 2008 [première édition 1937], p. 217.

59 Congrès AL 2012.

60 CGA, « Le système de domination raciste en France », 2015 ; congrès AL 2015 ; congrès FA 2016.

61 *Manifeste de l'UCL,* 2019.

أي سياسة تجاه الأديان؟ 7/

الأديان، كونها مصدرًا للراحة الفردية وفي الوقت نفسه أداة للانسلاب الجماعي، هي بناء اجتماعي كان دورها تاريخيًا محافظًا وقمعيًا. وإذا كانت الأنركية تدعو إلى التخلص من الآلهة والكائنات الخارقة الأخرى، فإنها تعارض أيضًا أي شكل من أشكال الاضطهاد ضد المؤمنين والمؤمنات، وتدعو إلى مجتمع علماني كامل يضمن حرية المعتقد وحرية الضمير.

في أوروبا في أربعينيات القرن التاسع عشر، كان من المستحيل ألا تدخل الحركة الاشتراكية الناشئة في صراع مع جهاز الكنيسة المناهضة للثورة. فالكنائس، المرتبطة بالدولة والموجودة في كل مكان، كانت تراقب الحياة الاجتماعية، وكان القساوسة الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس يمنعون "القراءات السيئة"، ويلعنون المخالفين للمعايير، ويدعون إلى الطاعة واحترام النظام والهرمية الاجتماعية. لذا كان يجب هزيمة الكنيسة. ولكن هل يعني ذلك إعلان عدم وجود الآلهة؟ كثيرون ترددوا قبل القيام بهذه الخطوة.

من بينهم برودون. وعلى عكس ما قد يُعتقد، لم يكن هذا الرائد للأنركية ملحدًا، بل كان يصف نفسه بأنه "معادي للآلهة". بالنسبة له، الكون كان بالضرورة نتاج إله، لكن التقدم البشري لا يمكن أن يحدث إلا ضد هذا الإله: "نصل إلى العلم رغم الإله، وإلى المجتمع رغم الإله: كل تقدم لنا هو نصر نحطم فيه الألوهية... [...] الإله هو الشر" 62. هذا الموقف المدهش – وجود إله والإنسان في صراع معه – لم يترك أثرًا كبيرًا في المستقبل.

بعده، تبنى باكونين الإلحاد بشكل صريح، مؤكدًا أن "السماء الدينية ليست سوى سراب حيث يجد الإنسان، المرفوع بالجهل والإيمان، صورته الخاصة مكبرة ومقلوبة، أي مُقدسة" 63. ووجه تحذيره للاشتراكيين المؤمنين: «إذا كان الإله موجودًا، فالإنسان عبد؛ والإنسان يمكن ويجب أن يكون حرًا، إذن الإله غير موجود. أتحدّ أي أحد أن يخرج من هذا الدائرة؛ والآن ليختار». 64 وقد لخص آخرون هذه الفكرة في قول مرح: "لو كان الإله موجودًا، لكان يجب القضاء عليه". ومع ذلك، لم يلخص هذا الموقف الفلسفي كامل فكر باكونين، الذي كان يحلّل الظاهرة الدينية تحليلًا ماديًا.

المادية

يجب أخذ الإيمان على حقيقته: ظاهرة اجتماعية وبناء تاريخي. "لا ندّعي إنكار الضرورة التاريخية للدين" كتب باكونين مستفيدًا من تحليل فيورباخ، "ولا نؤكد أنه كان شرًا مطلقًا في التاريخ. [...] فالدين، عندما يخرج الإنسان الحيوان من وحشيته، هو خطوة أولى نحو الإنسانية [...]." 65 كل المعتقدات والخرافات والطقوس التي ظهرت منذ عشرات الآلاف من السنين في مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار كان لها سببها. وتفسير مؤسساتها في العصر النيوليثي يعود إلى

الظروف المادية المرتبطة بظهور المجتمعات الزراعية المستقرة.
إن تقسيم العمل الاجتماعي أدى لاحقًا إلى تفويض تنظيم العبادة إلى مختصين، أي القساوسة. وقد ارتبطت نقابتهم – مثل نقابات المحاربين أو المسؤولين – بالسلطة الحاكمة، ثم تدريجيًا بسلطة الدولة.
إدراك هذا الأصل المادي لـ "الشبح الإلهي"، كما عبّر عنه باكونين، لا يعني بالضرورة التحرر منه على الفور، لكنه خطوة أولى ضرورية.

الإلحاد والعلمانية

بعد هذا التحليل المادي، ما هو موقف الثوريين تجاه الأديان ومؤمنيها؟ وما المكان الذي ينبغي تخصيصه لهم في المجتمع المستقبلي؟
كان باكونين يفرق بوضوح بين المطالب. فمن جهة، يجب أن تكون التنظيمات الثورية ملحدة ومؤسسة على العقل البشري "المعترف به كمعيار وحيد للحقيقة". ومن جهة أخرى، يجب أن يكون الهدف مجتمعًا يضمن حرية الضمير والعبادة، أي منفصلًا عن أي "كنيسة رسمية"، مع "حق غير محدود لكل شخص في بناء معابده لعبادته ودفع أتعاب قساوسته" 66. باختصار، مجتمع علماني وفق مصطلحات عصرنا.
لا يوجد أي تناقض بين هذا الموقف الملحد والمشروع العلماني. ففي أي عملية ثورية، سيكافح المؤمنون وغير المؤمنين جنبًا إلى جنب، كما يحدث اليوم. المجتمع الذي تقترحه الأنركية يجب أن يلغي الطبقات الاجتماعية، لكنه يشمل مكوناته الثقافية المختلفة.
ومع ذلك، لن تكون المعركة موحدة في كل مكان. يجب أن نتذكر أن أي «حكومة أنركية» لن تستطيع إلغاء الواقع بمرسوم. في مجتمع أغلبه ملحد أو معلَمن بشدة، سيكون تهميش العبادة إلى المجال الخاص أمرًا طبيعيًا. وفي حالات أخرى، قد ترى الجمعيات الشعبية أنه لا مانع من تخصيص موارد مادية وبشرية للعبادات، أو حتى الاعتراف بدين رسمي! إن تراجع النفوذ الديني شرط مسبق لظهور المجتمع العلماني. طالما ثمة دين ما مهيمن وقساوسته يسيطرون على ميزان القوى، فلا سبب لديهم لقبول أن تحد العلمانية من سلطتهم.

على أرض الواقع

إذا كان رفض الدين ورجال الدين جزءًا من هوية الأنركية، إلا أن الحركة لم تجعل منه هدفًا استراتيجيًا، مخصصة معظم جهودها للرأسماليين والدولة. وكانت بيانات وبرامج الحركة الأنركية واضحة بهذا الصدد. منذ عشرينيات القرن العشرين، باستثناء حالة واحدة 67، كانت إدانة الدين تحتل مساحة ضئيلة جدًا، وغالبًا ما اكتفت الحركة بالإشارة إليه في سطر أو سطرين، بوصفه "انسلاباً" 68، أو «صوفية» 69، أو «كذبًا» 70 يجب محاربته. وأحيانًا أُضيف أن المجتمع المستقبلي يجب أن يحافظ على حرية التعبير الديني 71، لأن "الجهل لا يُمحَص بالاضطهاد" 72. وحدها النقابة الوطنية الإسبانية عام 1936 كانت تحلم بمنع أي CNT "استعراض عام" للأديان.

مناهضة رجال الدين

رفض تدخل رجال الدين – وعلى نطاق أوسع اللوبي الديني – في الشؤون العامة كان دائمًا ثابتًا في الأنركية. في الماضي، في البلدان التي استفاد فيها رجال الدين المرتبطون بالدولة من الاستغلال الرأسمالي وشجعوا القمع – أمريكا اللاتينية، إسبانيا، فرنسا، إيطاليا، روسيا... – كان النضال المناهض لرجال الدين عنيفًا 73.
حاليًا، في البلدان التي فصلت فيها الأديان عن الدولة (مثل فرنسا، إسبانيا، إيطاليا) والتي لم

يعد لرجال الدين فيها سلطة مؤسسية، يهاجمهم الأنركيون أساسًا لدورهم كلوبي محافظ ضد حقوق النساء والمثليين والمثليات ومزدوجي الميل الجنسي والمتحولين. كما يدينون الامتيازات وانتهاكات العلمانية التي تمنحها الدولة للأديان السائدة، مثل التمويل العام للمدارس الدينية، أو أو تعليق الصلبان Alsace-Moselle تمويل الطوائف المسيحية واليهودية في ألزاس-موزيل في المدارس الإسبانية والإيطالية.
وفي البلدان التي لا يزال فيها دين الدولة قائمًا بحكم القانون (مثل اليونان) أو بحكم الواقع (مثل تركيا)، لا يطالب الأنركيون بالضرورة بفصل الدين عن الدولة، لأنهم يناضلون عمومًا من أجل حل الدولة القومية، وأساسها الإثني-الديني.

حرية العبادة

دفع الدعوة إلى مجتمع علماني، متساوٍ وشامل، الحركة الأنركية عادة إلى الدفاع عن الأقليات الدينية المظلومة – اليهود والمسلمين في أوروبا، العلويون والمسيحيون في تركيا، على سبيل المثال. لكن ربط هذا الدفاع بالفكر النسوي والإلحاد ليس دائمًا واضحًا. في فرنسا، على سبيل المثال، أدى حظر الحجاب في بعض الأماكن العامة إلى انقسام الحركة الليبرتارية إلى ثلاث اتجاهات. نظرًا لأن الحجاب كان تاريخيًا في الأديان التوحيدية رمزًا لعدم المساواة بين الجنسين، رأى اتجاه أول أنه لا يجب الدفاع عنه مطلقًا؛ ورأى اتجاه ثانٍ ضرورة الدفاع عن الحرية الدينية بغض النظر عن اللباس 74؛ واتخذ اتجاه ثالث موقفًا وسيطًا، مع الاعتراف بالطابع البطريركي للحجاب، لكنه دافع عن الحرية الفردية ضد وصمة يُنظر إليها على أنها عنصرية. 75

الفكر الحر

على مدى قرنين من الزمن، ساهم ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع الفردية في تراجع الأديان عالميًا. لكن الإلحاد النشط ساهم أيضًا بوسائل مختلفة.
أولاً، اكتشافات العلم – كروية الأرض، علم الفلك، تطور الأنواع، وكذلك تاريخ الأديان – كل هذا كشف تقادم الأساطير. كما لخص كروبوتكين: "كانت المعركة شديدة، لكن الداروينيين انتصروا". 76وأيضًا الفضائح التي طالت رجال الدين (فساد، عنف، اعتداءات جنسية، استغلال، عنصرية) أضعفت مصداقيتهم بانتظام. وبشكل أقل أهمية، كان الأنركي الفرنسي سيباستيان فور 77 (1858-1942)، المتمرس في المناظرات اللاهوتية، وقد برهن بطرق منطقية مختلفة "عدم وجود الإله" باثني عشر طريقة مختلفة 78.
مع ذلك، العلم والمنطق وحدهما لا يكفيان لتقويض الإيمان، لأنه لا يعدان بأي شيء ولا يقدمان إجابات وجودية. ولهذا السبب رأى باكونين أنه، بالإضافة إلى نشر "العلم العقلاني"، يجب منافسة الدين من خلال "دعاية الاشتراكية"79. ليس لجعل الاشتراكية دينًا جديدًا، بل لأن الأمل ينعقد على مجتمع جديد حر ومتساوٍ يمكن أن يوفّر رؤية جماعية كبيرة، موحدة بالقيم المشتركة، وقادرة على جذب الطموحات الإنسانية.

62 Proudhon, *Système des contradictions économiques,* t. I, p. 359-360.

63 Bakounine, *Dieu et l'État,* نشر الكتاب بعد وفاة المؤلف , P.-V. Stock, 1895.

64 Bakounine, *Socialisme, fédéralisme et antithéologisme* (1868), in *Œuvres,* tome I, P.-V. Stock, 1895, p. 64. *Catéchisme révolutionnaire* de 1865 : هذا المقطع كان يوجد في.

65 Bakounine, *Socialisme, fédéralisme et antithéologisme, op. cit.*

66 Bakounine, *Principes et organisation de la Société internationale révolutionnaire,* 1866 (éditions L'Escalier, 2014).

67 البيان الارنكي للحزب الليبرالي المكسيكي (1911) يضع في نفس المستوى "الرأسمال، السلطة، الكنيسة" حيث يصفها ب "الثلاثية المظلمة" التي يجب عدمها.

68 FCL, *Manifeste du communisme libertaire*,1953 ; CGA, « Principes et fonctionnement », 2002.

69 FA, « Principes de base », 1953.

70 Union anarchiste italienne, « Programme anarchiste », 1920.

71 FA, *Les Anarchistes et le problème social,* 1945 ; AL, *Manifeste,* 1991 ; UCL, *Manifeste*, 2019.

72 UTCL, *Le Projet communiste libertaire*, 1986.

73 CNT, « Motion sur le concept confédéral du communisme libertaire », congrès de Saragosse, 1936.

74 Collectif Libertaires contre l'islamophobie, tract du 17 avril 2016.

75 Congrès AL 2008.

76 Kropotkine, *La Science moderne et l'anarchie,* P.-V. Stock, 1913

77 Sébastien Faure, libre-penseur هو مناضل أنركي فرنسي، وفيلسوف تحرري ومفكرا حر في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. (إضافة من المترجم)

78 Sébastien Faure, *Douze preuves de l'inexistence de Dieu,* La Ruche, 1914.

79 Bakounine, *Fédéralisme, Socialisme et Antithéologisme, op. cit.*

ما هي استراتيجية /8 العمل؟

لا يكفي امتلاك رؤية للمجتمع المستقبلي، أو رسم الخطوط العريضة لما يمكن أن يكون عليه ما بعد الرأسمالية، بل لا بدّ أيضًا من توضيح الكيفية التي نتصور بها الوصول إلى ذلك. على هذا الصعيد، تتعايش داخل الأنركية ثلاثة أنماط كبرى من الاستراتيجيات – غير متعارضة فيما بينها بالضرورة – وهي: الاستراتيجية التمردية (الانتفاضية)، والاستراتيجية النقابية، والاستراتيجية (الإنجازية (التربوية-التحقّقية **éducationniste-réalisatrice.**

أيّ استراتيجية ثورية ينبغي اعتمادها؟ وبالارتكاز إلى أي فئات اجتماعية، وإلى أي ديناميات نضالية؟ شأنها في ذلك شأن الاشتراكية، لم تقدّم الأنركية جوابًا واحدًا موحّدًا.
في عشرينيات القرن العشرين، صنّف الروسي فولين والفرنسي سيباستيان فور الأنركية إلى ثلاثة تيارات متميزة لكنها متكاملة: الفردانية، والشيوعية، والنقابية.غير أنّ هذا التصنيف كان يعاني من عيبين إنّ التقابل بين النقابية والشيوعية كان مصطنعًا، لأن الأولى استراتيجية عمل، في حين أنّ الثانية مشروع مجتمع؛ فالأنركيون-النقابيون يعلنون بالفعل انتماءهم إلى الشيوعية التحررية، ومعظم الشيوعيين التحرريين يمارسون العمل النقابي. ثانيًا، إنّ إدراج الفردانية بوصفها مكوّنًا «رسميًا» من مكوّنات الأنركية كان مرفوضًا دائمًا من التيارين الأخريين، بحجة أنّ الفردانية، لكونها خارج الحركة العمالية الثورية، فهي بحكم ذلك خارج الأنركية.
لكن هذا التصنيف كان في الأساس ظرفيًا. فقد كان ملائمًا لحالة الركود النضالي في عشرينيات القرن العشرين، ومعبرًا عن إرادة توحيدية لدى فولين وفور. ومع مرور الوقت، بدأ أكثر فأكثر مصطنعًا، ولم يعد اليوم يُستعمل إلا بدافع العادة.
في عام 2007، وبالاستناد إلى دراسة الممارسات لا الخطابات فقط، اقترح المؤرخ غايتانو مانفريدونيا Gaetano Manfredonia تصنيفًا أكثر تحفيزًا، ميّز فيه بين ثلاثة «أنماط مثالية» من النضال التحرري: النمط التمردي، والنمط النقابي، والنمط التربوي-التحقّقي. ووفق الأزمنة، يمكن لهذه الأنماط الثلاثة أن تتداخل، أو تتنافس، أو يحلّ أحدها محل الآخر.

(النمط التمردي (الانتفاضي

التمردية هي الممارسة النضالية الأكثر استعراضًا في الأنركية، وبالتالي الأكثر شهرة. وهي سائدة في أوساط «التيارات المستقلة»، وترتكز على تحليل مفاده أنّ الوضع السياسي-الاجتماعي في بلد ما بالغ الانفجار، إلى درجة أنّ شرارة واحدة – كعملية تفجير أو شغب – قد تشعل الفتيل وتطلق سلسلة أحداث تقود إلى انتفاضة شعبية، ثم إلى تحوّل ثوري.
تاريخيًا. قاد هذا التحليل، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، إلى تبنّي استراتيجية «الدعاية

بالفعل»، في وقت كانت الأنركية الناشئة لا تزال مشبعة بذكرى متاريس كومونة باريس، وكانت إيطاليا وإسبانيا تهتزّان على وقع انتفاضات فلاحية، والولايات المتحدة على وقع ثورات عمالية، فيما كان الشعبويون الروس يخوضون ثأرًا لا هوادة فيه ضد القيصرية. وفي النهاية، ومع أنّ الانتفاضة لم تتحقق رغم القنابل والمواجهات والتصعيد الخطابي، وضع الأنركيون التمردية بين قوسين بلدًا بعد بلد، وانتقلوا، ابتداءً من عام 1895، إلى الاستراتيجية النقابية.

ومنذ ذلك الحين، عادت التمردية إلى الظهور دوريًا، بطريقتين مختلفتين إلى حدّ بعيد.
من جهة، عندما أعادت الأوضاع الثورية الاعتبار للكفاح المسلح، أنشأت منظمات أنركية قوية أجنحة شبه عسكرية. ومن جهة أخرى، في سياق صراعات اجتماعية حقيقية أو متخيّلة، جعلت مجموعات أنركية من الشغب استراتيجية مركزية.

في الحالة الأولى، يمكن ذكر «القوات المتمردة» للحزب الليبرالي المكسيكي في بدايات الثورة (1910-1911)؛ و«الحرس الأسود» للاتحاد الأنركي الشيوعي في موسكو (1917-1918)؛ وجيش نستور مخنو المتمرّد في أوكرانيا (1918-1921)؛ وأعمدة الميليشيات التابعة للـCNT خلال الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939). ويمكن إضافة المقاومة العمالية-الطلابية في الأوروغواي (1967-1976)، أو مشاركة أنركيين في حركات المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي، في مقدونيا مطلع القرن العشرين، وفي الصين وكوريا وإيطاليا وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية.

في الحالة الثانية، يمكن التفكير في العديد من المجموعات الأنركية في الولايات المتحدة وأوروبا، وحتى في مصر خلال الربيع العربي. وفي اليونان، قد ينفّذ بعض التمرديين تفجيرات ضد مؤسسات مكروهة. لكن في معظم البلدان، تبقى تكتيكات «الكتلة السوداء» هي المرجع الأساسي: إذ يتشكل خلال التظاهرات موكب يرتدي فيه الجميع الأسود ويضعون الأقنعة، فتتحطم في طريقه رموز الرأسمالية (واجهات المصارف، السيارات الفاخرة)، إلى أن تتدخل شرطة مكافحة الشغب. ويُفترض أن تؤدي موجة القمع التي تلي ذلك إلى ردّ فعل تضامني قادر على إطلاق سلسلة الشغب-الانتفاضة-الثورة.

الحدود. خارج الفترات الثورية الواضحة، حيث يصبح حمل السلاح ضرورة حيوية، يكمن خطر هذه الاستراتيجية في المبالغة في تقدير مستوى الصراع الاجتماعي. ففي هذه الحالة، قد تؤدي أعمال الشغب، بدلًا من جذب السكان، إلى سوء فهم أو حتى إلى رفض، ما يعزل الأنركيين في مواجهة القمع.

النمط النقابي

الاستراتيجية النقابية هي السائدة داخل الحركة الأنركية المنظّمة. وهي، على عكس ما قد يوحي به اسمها، لا تقتصر على النقابات، بل تشمل كل ممارسة نضالية «جماهيرية» مستلهمة من نظرية «الأقليات الفاعلة» لدى باكونين. فهي تسعى إلى تحريك عمّال من مختلف التوجهات – حتى اللامسيسين أو المحافظين – على أمل إيقاظ وعي مناهض للرأسمالية لديهم عبر الفعل المطلبي الجماعي. أما القطيعة الثورية، فيُنتظر أن تنبثق من إضراب عام انتفاضي يستولي خلاله العاملات والعمال على وسائل الإنتاج.

تاريخيًا. وُلدت النقابية الثورية في تسعينيات القرن التاسع عشر، متبنية فكرة «المهمتين المزدوجتين» التي نظّر لها الأنركي إميل بوجيه: تحريك البروليتاريا لتغيير حياتها اليومية، وإعدادها في الوقت نفسه لمصادرة الرأسمال.

في العقد الأول من القرن العشرين، جعل الأنركيون الفرنسيون من الكونفدرالية العامة للشغل (CGT) الأداة الأساسية لهذه الاستراتيجية. وظهرت نماذج مماثلة مع تأسيس «عمّال الصناعة في العالم» (IWW) في الولايات المتحدة (1905)، و FUOSR في سويسرا (1905)، و CNT في إسبانيا (1910)، و SAC في السويد (1910)، و USI في إيطاليا (1912). ويمكن مضاعفة الأمثلة حتى ثلاثينيات القرن العشرين.

بعد الحرب العالمية الثانية، شهدت النقابية الثورية تراجعًا واضحًا، ولم تعد قادرة على التمظهر

في منظمات جماهيرية كبرى، إذ باتت المركزيات النقابية خاضعة إما للاشتراكية-الديمقراطية أو للستالينية. غير أنّ الاستراتيجية النقابية الثورية واصلت حياتها بأشكال أكثر خفاءً وتنوّعًا.

لقد قدّمت «المهمتان المزدوجتان» نموذجًا ظلّ يعاد ابتكاره وتوسيعه باستمرار: عمّال يضربون من أجل شروط عملهم؛ مستأجرون أو مشرّدون يتنظمون للدفاع عن السكن؛ نساء يطالبن بالمساواة في الحقوق؛ لجان أحياء تناضل من أجل الخدمات العامة؛ أقليات تكافح التمييز؛ طالبات وطلاب يطالبون بتعليم ذي جودة... كلها نضالات يومية يمكن ربطها بنقد أشمل للاضطهاد، وتندرج ضمن استراتيجية من الطراز النقابي.

بعد عام 1968، وجدت هذه الاستراتيجية زخمًا جديدًا في ممارسة حديثة نسبيًا، هي للأشخاص المنخرطين في النضال في أماكن العمل أو الدراسة أو (AG) الجمعيات العامة العيش.

على الأنركيين الذين يعملون وفق هذه الاستراتيجية أن يبادروا من دون وصاية، وأن ييسّروا التنظيم الذاتي، ويشجّعوا العمل المباشر، ويعارضوا تفويض السلطة للسياسيين، ويربطوا المطالب الآنية بأفق مناهض للرأسمالية... وهذا ما يسمّيه الأنركيون النوعيون spécifistes [80] في أميركا الجنوبية «الاندماج الاجتماعي»، وما يسمّيه «الاتحاد الشيوعي التحرري» في فرنسا «تنشيطًا ذاتيًا للنضالات». [81]

الحدود. ليست الاستراتيجية النقابية حلًا سحريًا. فهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمدّ وجزر الصراع الطبقي: قد تكون مثمرة في فترات اشتداد الصراع الاجتماعي، وتضعف في فترات الركود. وإذا لم يتكيّف الأنركيون، قد يجدون أنفسهم منفصلين عن حركة نقابية ذات روح قتالية خافتة، فينعزلون. لكن إن تكيّفوا أكثر من اللازم، فقد يفقد حتى الأنركيون المخلصون بوصلتهم الثورية، ويذوبوا في جهاز نقابي أصبح قانونيًا وروتينيًا.

النمط التربوي-التحقّقي (الإنجازي)

يمكن وصف التيار التحرري الذي يرى أنّ لا ثورة اجتماعية من دون ثورة مسبقة في الذهنيات بأنه «تربوي-تحقّقي». وكما عند إليزيه ركلو، لا تُتصوَّر الثورة إلا في نهاية تطور طويل، بوصفها تسريعًا للتاريخ. لذلك يركّز الأنركيون المتمسكون بهذه الاستراتيجية على التربية الشعبية لرفع مستوى الوعي، وكذلك على نموذجية «البدائل المطبَّقة عمليًا». و«التجريب» هو كلمتهم المفتاحية

تاريخيًا. من التعاونيات العمالية في أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر، مرورًا بتجارب «العيش الجماعي، والجامعات الشعبية، والبيداغوجيات التحررية، وصولًا إلى «مناطق الدفاع في العقد 2010، اتخذ هذا النمط أشكالًا متعددة. أحيانًا – كما في حركة بورصات (ZAD) العمل les bourses de travail أو التعاونيات، أو «المدرسة الحديثة» للأنركي فرانسيسكو فيرير – كان متداخلًا مع الاستراتيجية النقابية. وأحيانًا أخرى – كما في السكواتات les squats ارتبط أكثر بالتمردية. لكنه غالبًا ما اكتفى بذاته، – (TAZ) «و«المناطق المستقلة المؤقتة مقترحًا ثقافة مضادة قائمة على قيم قوية.

في أيامنا هذه، تزداد وجاهته بفعل ضرورة الانتقال البيئي. فخطر انهيار المجتمع المعتمد على النفط يفرض بروز نماذج صامدة، بيئية، قائمة على التضامن والإدارة الذاتية. ومن هذا المنطلق، فإن الناشطات والناشطين الذين يمارسون اليوم الزراعة المستدامة، والإيكولوجيا الزراعية، والزراعة العضوية، أو يعملون على إعادة نسج نسيج اقتصادي وثقافي واجتماعي، ولا سيما في المناطق الريفية، يندرجون – بوعي أو من دونه – في استراتيجية تربوية-تحققية.

الحدود. إذا تلاشى الوعي الطبقي، وانقطعت الصلة بالحركة الاجتماعية، وفُقد السعي إلى كسب الرأي العام، فقد تتحول «البدائل المطبَّقة عمليًا» إلى دوائر مغلقة على ذاتها. ويزخر التاريخ بتعاونيات عمالية ابتلعها السوق الرأسمالي، وبجماعات عيش تحولت إلى غيتوهات معيارية.

80 يمكن ترجمة الكلمة بعبارة "النوعيون. الـ«especifismo» هو توجّه من توجهات الأنركية يؤكد على فكرة أن على الأنركيين أن ينظّموا أنفسهم بطريقة محددة، واضحة ومتناسقة، بدلًا من الاكتفاء بالعمل بشكل مشتّت أو فردي.

81 *Manifeste de l'UCL,* 2019.

أي نمط تنظيم؟ 9/

عندما تريد الأنركية أن تكون أكثر من مجرد بيئة ثقافية، وأن تشكل حركة سياسية حقيقية، يطرح سؤال حاسم: كيف يجب أن تُنظم؟

.منذ ظهور الأنركية، تمت تجربة أنواع مختلفة من التنظيم. لكل نوع تاريخه، ومميزاته، وحدوده

النمط غير الرسمي

لا يُفهم خطأً: غياب الهيكل هو اختيار سياسي، ولا يعني غياب التنظيم. طالما يتم العمل بشكل جماعي، فإن شكلًا من أشكال التنظيم، حتى وإن لم يُصرح به، يتشكل بالضرورة من تلقاء نفسه.
في سنوات 1880-1900، لم تكن الأنركية منظمة على المستوى الوطني. ومع ذلك، كان هناك تيار من الجماعات المحلية الذي يتبنى التوجهات المحددة "من الأعلى" عبر الصحف الأنركية، التي تديرها فرق صغيرة تمارس قيادة فعلية. يمكن العثور على نفس الخصائص في التيار الفردي في سنوات 1900-1910، وفي العفوية التي روج لها دانييل كوهين-بنديت بعد مايو 68، أو في التيار المستقل منذ الثمانينيات.
في هذا التصور، كل هيكلة تصبح بالضرورة بيروقراطية. لتجنب ذلك، يجب على الأفراد والجماعات أن تتجمع وتنفرط حسب النضالات، والتوافقات، والرغبات الشخصية.
الميزة هي عدم ضياع الوقت في إدارة هيكل، حيث يمكن استثمار كل الطاقة في العمل الميداني. أما القيد فهو أنه، بدون هيكل لنقل الذاكرة والخبرة، يُضطر إلى تكرار نفس النقاشات والأخطاء... إلا إذا تم تأسيس قيادة غير معلنة. في كتيب شهير عام 1970 بعنوان "طغيان غياب الهيكل"، لاحظت النسوية جو فريمان أن العفوية لا تلغي القادة وعلاقات السلطة، بل تفاقمها بنكران وجودها ومنع الممارسة الديمقراطية. "التنظيم، بعيدًا عن خلق السلطة، هو العلاج الوحيد ضدها"، كما شدد الأنركي مالاتيستا. 82

النمط الشبكي **réseau**

الشبكة غالبًا ما تكون شكلًا أوليًا وبسيطًا من الهيكلة. على أساس بيان سياسي، تتبادل الجماعات المعلومات وتقوم بأعمال مشتركة. بدون هيئات اتحادية منتظمة – مثل الأمانة أو الخزينة – يجتمعون بانتظام على المستوى الوطني، ويشكلون لجان عمل مؤقتة لتنسيق حملات، ويجمعون الأموال عند الحاجة فقط. المثال الأكثر شهرة في فرنسا هو شبكة "نو باسران" No Pasaran (1993-2013).
الميزة هي ضياع قليل من الوقت في إدارة هيكل دائم. القيد هو أن الإدارة الوطنية قد تتحملها جماعة أو جماعتان قياديتان فعليًا. وإذا ظهرت توجهات متناقضة، يصعب الفصل بينها. الشبكة التي تتبنى هيكلًا دائمًا وقواعد ديمقراطية تتطور حتمًا نحو الفدرالية.

نمط "التحالف الباكونيني"

حتى لو لم يُعترف بهذه المرجعية بالكامل – أو تم ذلك بشيء من المزاح - فإن الجمعيات السرية التي أسسها ميخائيل باكونين في ستينيات القرن التاسع عشر قد ألهمت بعض التنظيمات لاحقًا. في فرنسا، يمكن الإشارة إلى التحالف النقابي الثوري والأنركو-نقابي (ASRAS 1971-1982).

يرتبط هذا النموذج بمفهوم باكونين لـ "الأقليات الفاعلة": جمع نخبة نشطة ضمن الحركات الاجتماعية لإضفاء توجيه ثوري أو أنركي عليها. يعمل التحالف كشبكة من الأفراد أو الجماعات، مع تبادلات واجتماعات مؤقتة لتطوير التكتيك.

الميزة هي أنه بإعطاء الأولوية للاندماج في الحركات الاجتماعية والنقابية، يمكن أن يمارس تأثيرًا معينًا. القيد هو أن هذا العمل غير مرئي في حد ذاته. والخطر هو أن "التحالفيين" إذا انشغلوا بمسؤولياتهم النقابية، قد يضمحل التنظيم لافتقار الوسائل والتجديد، وينتهي به المطاف إلى التلاشي، كما حدث مع ASRAS.

النمط الأنركو-نقابي

قد يكون مصطلح الأنركو-نقابية قد اخترعه الروسي دانييل نوفوميرسكي الذي، بعد الثورة الروسية 1905، قدّم لأول مرة مزجًا بين الأنركية والنقابية. رسخ أوسوجي ساكاي المصطلح في اليابان عام 1920. لاحقًا، أدخله الإسبان والفرنسيون بين الحربين العالميتين. لكن المؤتمر عام 1937 اعتمد المصطلح رسميًا بتقرير من بيير بيسنار، الذي أشار إلى أن AIT الرسمي لـ الأنركو-نقابية "تأخذ عقيدتها من الأنركية وشكل تنظيمها من النقابية الثورية [83]".

عمليًا، تنضم الكونفدرالية الأنركو-نقابية إلى نقابات منظمة ضمن اتحادات صناعية واتحادات إقليمية، مع مؤتمر دوري يحدد التوجهات الكبرى، وهيئة كونفدرالية تنسق العمل.

الميزة هي تحديد الطابع الطبقي للأنركية بوضوح، ويمكن توسيع العضوية حول النواة الناشطة لجذب أعضاء ليسوا بالضرورة أنركيين في البداية. التحدي هو جعلهم يصبحون أنركيين، وهنا تظهر الحدود.

الخطر الأول هو أن العضوية المحدودة بالنواة الأنركو-نقابية تجعل النقابة هزيلة. الخطر الثاني هو أن يزيد التجنيد كثيرًا، فتنشأ فجوة بين النواة الأنركية والقاعدة غير الواعية بتوجهها السياسي.

الإسبانية، خصوصًا خلال الفترة "البطولية" 1919-1939. CNT أشهر تنظيم أنركو-نقابي هو السويدية، إلى جانب SAC الإسبانية CNTو CGT اليوم، ممثلو هذا التيار الرئيسيون هم البولندية، وغالبيتهم على IPالإيطالية، و USI الألمانية FAUD الفرنسية CNT-SOو CNT المستوى الدولي ضمن التنسيق الأحمر والأسود.

النمط المنصوي **(plateformiste)**

في 1926، أراد نيستور ماخنو وبيوتر أرخينوف وغيرهم من المنفيين الروس تجديد الأنركية، فأصدروا "المنصة التنظيمية للاتحاد العام للأنركيين". مستفيدين من الثورة الروسية، أشاروا إلى أن التنظيم الأنركي الجاد يجب أن يقوم على أربعة مبادئ: 1) الوحدة النظرية (الصراع الطبقي والشيوعية التحررية)؛ 2) الوحدة التكتيكية (لعمل متناسق في الحركات الاجتماعية)؛ 3) المسؤولية الجماعية؛ 4) الفدرالية.

حسب المنصة، يحدد مؤتمر دوري التوجهات الكبرى ويكلف "اللجنة التنفيذية" بتنفيذها.

الميزة هي أن التوجهات المحددة جماعيًا توجه العمل السياسي، واللجنة التنفيذية واضحة ومعروفة وقابلة للرقابة، وتمتلك خزينة منتظمة.

الخطر هو الانحراف نحو السلطوية إذا فسرت الفدرالية أو "الوحدة النظرية" و"الوحدة

في فرنسا UACR التكتيكية" بشكل مفرط للتحكم في رأي الجماعات المحلية، كما حدث مع FDCA) بين 1927-1930. لكن المنظمات اللاحقة التي استندت إلى المنصة منذ السبعينات الأمريكية NEFAC الفرنسية AL ثم UTCL ORA الإيرلندية WSM الإيطالية الشمالية) تبنتها بتعديل حر. ومنذ 2005، تتواجد ضمن شبكة أناركيسمو الدولية.

النمط التوليفي (synthésiste)

معارضًا للمنصة، نشر سيباستيان فور مستوحياً من فولين، كتاب "التوليف الأنركي" 1928، كطرح منافس.
هم الذين صنفوا الحركة الأنركية إلى ثلاثة تيارات: نقابية، شيوعية، وفردية. كان هدف فولين التوصل إلى تركيب نظري، بينما اقترح فور ببساطة coexistence "بيت مشترك" ضمن.
مثل التنظيم المنصوي، التنظيم التوليفي فدرالي، له خزينة منتظمة ومسؤولون معينون. ميزته أنه لا يشترط وحدة نظرية أو تكتيكية، ما يتيح جمع نطاق أوسع. حدود هذا الأمر هو تباين الحساسيات داخل التنظيم، ما قد يمنحه طابعًا فوضويًا أحيانًا، ويصعب تحديد التوجهات الفدرالية خارج الإطار التقليدي، ما يؤدي إلى استياء وخلافات ودورة أزمات وانشقاقات.
في فرنسا، كانت الجمعية الفدرالية الأنركية (1927-1934) أول تنظيم تركيبي، وتلاها بعد الحرب الاتحاد الأنركي الفرنسي FA الإيطالية FLA الأرجنتينية... ومنذ 1968، ضمن الاتحاد الدولي للاتحادات الأنركية (IFA).

النمط "النزعي (أو التخصصي)" (spécifiste)

في (FAU) وُضعت من قبل الاتحاد الأنركي الأوروغواياني (especifismo) التخصصية الستينات، وأصبحت مرجعًا للأنركية في أمريكا اللاتينية في التسعينات. تشير إلى تصورات مالاتيستا حول التنظيم الخاص بالأنركيين، الذي يكمل التنظيم الطبقي مثل النقابات.
مثل البلاتفورمية، تؤكد على النشاط داخل الحركات الاجتماعية ("العمل الاجتماعي") وبناء تنظيم أنركي خاص، وهو ما يسمى بـ "الازدواجية التنظيمية". الهدف ليس تحويل الحركات الاجتماعية إلى أنركية، بل الحفاظ على تعدديتها وطبقيتها مع غرس ممارسات الإدارة الذاتية ("الاندماج الاجتماعي").
ينبغي على أعضاء التنظيم توزيع أنفسهم ضمن "جبهات" للعمل (نقابية، نسوية، شبابية، فلاحية، سكنية...) ويمكن إشراك المتعاطفين فيها قبل الانضمام الكامل للتنظيم.
من حيث الفعالية والرقابة الديمقراطية، مزايا التخصصية مثل البلاتفورمية، ومع إضافة شرط "العمل الاجتماعي" لضمان تجنيد نوعي قائم على الممارسة.
القيود مماثلة للبلاتفورمية (المنصوية)، مع بعض المخاطر الخاصة بجبهات النضال: داخليًا، قد تؤدي إلى تجزئة موضوعية للتنظيم؛ خارجيًا، قد تتحول إلى انقسام ضار للحركة الاجتماعية.
المنظمات التخصصية في أمريكا اللاتينية، منذ 2005، منضوية ضمن شبكة أناركيسمو الدولية.

82 Malatesta, *Majorités et minorités,* brochure, 1897.

83 « L'anarcho-syndicalisme et l'anarchisme », congrès de l'AIT, 1937 ».

كيف تم التدخل في 10/ الثورات السابقة؟

لقد شارك التيار الأنركي في عدة عمليات ثورية وفق تحليلاته الخاصة وإسهاماته الخاصة، محاولاً التأثير على مجرى الأحداث. فما كانت استراتيجياته، وما هي نجاحاته وإخفاقاته؟

الثورة الإسبانية (1936-1937)

الثورة الاجتماعية في إسبانيا أثناء الحرب الأهلية تمثل بلا شك أوسع تجربة حرة وأكثرها عمقًا وتناولا. إنها بالنسبة للحركة الأنركية ما تمثله الثورة الروسية للحركة الشيوعية: مرجع أساسي، مع خطر في بعض الأحيان من جعلها المعيار لكل شيء – وهو خطأ يجب تجنبه، لأن مركزية الأنركية- (CNT) الأنركية في إسبانيا كانت حالة فريدة. تأسست الكونفدرالية الوطنية للعمال النقابية عام 1910، وكان لديها مئات الآلاف من الأعضاء بحلول عام 1936، في جميع القطاعات الصناعية والفلاحية. إضافة إلى ذلك، كان لديها خبرة في العمل المسلح خلال "الحرب الاجتماعية" في عشرينيات القرن العشرين ضد مسلحي أرباب العمل. قليل من المنظمات الثورية في التاريخ تمكنت من التفاخر بمثل هذه القدرة على العمل.

عام 1936 اختبرها بقسوة.

في 17 يوليو، حاولت فئة من الجنرالات القوميين القيام بانقلاب ضد حكومة الجبهة الشعبية. هي التي أوقفت CNT في كاتالونيا، بينما كانت السلطة مشلولة، كانت الانتفاضة العمالية بقيادة الانقلاب. خلال الأسابيع التالية، شهدت المنطقة تحولات اجتماعية واسعة: الصناعات استولى عليها العمال، الأراضي جُمعت، البلديات الحرة تأسست، تشكلت لجان ثورية وميليشيات شعبية... كل ذلك بتنسيق النقابات. ومع ذلك، بقيت الثورة في منتصف الطريق. لماذا؟

لفهم ذلك، يجب تصور أن إسبانيا خلال الأسابيع الأولى لم تكن منقسمة إلى قطبين، بل إلى ثلاثة أقطاب متصارعة – فاشيون، جمهوريون وثوار – كل منهم كان يهدف على المدى القصير إلى القضاء على الآخرين. إلا أن التحالف بين الجمهوريين والثوار، الذي تم إبرامه في 20 يوليو، هي الخاسر الأكبر؛ الدولة، حتى إذا كانت ضعيفة، استعادت أدواتها؛ CNT لم ينكسر أبدًا. كانت الثورة توقفت وتراجعت. الدولة الجمهورية هي التي هزمتها قبل أن تهزم بدورها على يد الفاشيين.

تفسير هذا الفشل أثار جدلاً حادًا داخل الحركة الأنركية الإسبانية بعد الحرب، وما زال موضوع تحقيق لا ينضب لدى المؤرخين.

وفق أصحاب نظرية "الظرفية"، فإن التحالف الظرفي بين الجمهوريين والثوار استمر لأنه تبين إسقاط الدولة الجمهورية في مواجهة CNT أن العدو المشترك أقوى مما كان متوقعًا. لم تستطع الفاشية: كان بإمكانها الانتصار في كاتالونيا فقط، ولكن ليس في أماكن أخرى، وكانت ستتعرض

للحصار من الدول الفرنسية والبريطانية والسوفييتية. لم يكن لديها خيار سوى تعليق العملية الثورية على الأقل حتى السيطرة على سرقسطة والانتصار على الفاشية، ثم إعادة إطلاق الثورة في الحكومة كان جزءًا من هذا الرهان، الذي خسر CNT باستخدام المواقف المكتسبة. دخول في النهاية.

أما أصحاب النظرية المعاكسة، فيرون أن القيادة الكونفدرالية، بموافقة جزء من القاعدة، خانت الثورة منذ 20 تموز بعدم الإطاحة بالسلطة، مما أدى تلقائيًا إلى جميع الاستسلامات اللاحقة: التخلي عن إثارة انتفاضة مضادة للاستعمار في المغرب الإسباني لإضعاف الجنرالات المتمردين، تبعية الميليشيات الشعبية للجيش الجمهوري، وبشكل عام، التراخي أمام الثورة المضادة التي قادتها الدولة السوفييتية الجمهورية. ومع ذلك، رفضت بعض قطاعات CNT هذه الخيانة، وكانت انتفاضة أيار 1937 في برشلونة المحاولة الأخيرة – الفاشلة – لإعادة إطلاق العملية الثورية.

ومع ذلك، لا يمكن اختزال الثورة الإسبانية في مجرد جدل حول دور القيادة الكونفدرالية. رغم ذلك، كانت القاعدة النضالية الأنركية-النقابية هي القوة الدافعة لكل التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شملت في ذلك الوقت ملايين العمال. هذه التحولات ما زالت، بعد عقود، مصدرًا هائلًا للإلهام.

لمزيد من المراجع:

César M. Lorenzo, *Les Anarchistes espagnols et le pouvoir,* Seuil, 1969 (pour la thèse circonstancialiste) ; Miguel Amorós, *Durruti dans le labyrinthe,* L'Encyclopédie des nuisances, 2007, et Agustín Guillamón, *Barricades à Barcelone,* Spartacus, 2009 (pour la thèse inverse) ; Gaston Leval, *Espagne libertaire,* Le Monde libertaire, 1983 (pour l'œuvre constructive de la révolution) ; Antoine Gimenez et les giménologues, *Les Fils de la nuit,* Libertalia, 2016 (pour un récit vivant articulé à une analyse politique) ; Myrtille Gonzalbo, *Les Chemins du communisme libertaire en Espagne,* volume 3, Divergences, 2019.

الثورة الروسية (1917-1921)

عندما اندلعت الثورة في روسيا المرهقة من الحرب، كان الأنركيون أصغر مكون في الحركة الاشتراكية. في بطرسبورغ على سبيل المثال، كانت أعدادهم أقل بعشر مرات من الحزب البلشفي، ووسائل تعبيرهم محدودة للغاية. وكانت مشكلتهم المستمرة هي تعويض هذا التأخر من خلال الجرأة المتزايدة.

كانت الفدرالية الأنركية الشيوعية في بطرسبورغ أول من طالب، بعد الثورة السياسية في شباط، بثورة اجتماعية. كانت تدعو العمال والفلاحين إلى السيطرة على الأراضي والمصانع دون انتظار إذن أي جهة – سواء السوفيات أو الجمعية التأسيسية. وفضل الأنركيون، تجاه السوفياتات التي اعتبروها معتدلة جدًا، العمل ضمن لجان المصانع حيث كانوا يدعون إلى الإدارة الذاتية.

من آذار إلى تموز 1917، كانت استراتيجية الأقلية الأنركية في بطرسبورغ هي جر الأحياء العمالية وقاعدة الحزب البلشفي إلى انتفاضة ضد الحكومة المؤقتة. كانوا على وشك النجاح خلال أيام تمرد تموز، ومع ذلك، استمر التنسيق مع البلشفيين حتى انقلاب تشرين الأول، الذي شارك فيه الأنركيون بفاعلية.

بعد تشرين الأول، وصل التيار الأنركي إلى أقصى امتداد له وانضم إلى المعارضة اليسارية للحكومة البلشفية. سياسيًا، كان يطالب بسلطة شعبية تستند إلى السوفيات، ضد المركزية الدولانية؛ واقتصاديًا، كان مؤيدًا للتأميم والإدارة الذاتية، ضد الدولة؛ وضد الغزو الألماني، دعا إلى المقاومة من خلال حركات حرب العصابات، وندد باستسلام بريست-ليتوفسك؛ واستمر في تشجيع المصادرات التحررية لإعادة إسكان المحتاجين.

سعى الحزب البلشفي لتطبيع الوضع لتعزيز سلطته، فحطم الأنركيين في عملية عسكرية شملت البلاد في 12 و13 نيسان 1918. فر كثير من الناجين إلى أوكرانيا، حيث استمرت الثورة حتى

عام 1921 تحت قيادة الجيش الفلاحي بقيادة الأنركي نستور ماخنو. في نفس العام، تم سحق انتفاضة كرونشتات من قبل السلطة، ومعها آخر محاولة للارتباط بالروح الثورية لشباط وتشرين الأول.

لمزيد من المراجع:
Pierre Chamechaude, Guillaume Davranche, *1917. Les Anarchistes, leur rôle, leur choix,* Alternative libertaire, 2017 (sur les deux premières années de la révolution) ; Alexandre Skirda, *Nestor Makhno, le cosaque libertaire,* Éditions de Paris, 2000 (sur la révolution en Ukraine) ; Voline, *La Révolution russe*, Libertalia, 2017.

الثورة المكسيكية (1911-1912)

عندما اندلعت الحرب الأهلية في كانون الأول 1910 بين فصيلين متنافسين من البورجوازية المكسيكية، كان الأنركيون أيضًا في موقف هامشي. كانت لجنة الحزب الليبرالي المكسيكي في المنفى بكاليفورنيا قد تأثرت بالأنركية بواسطة زعيمها ريكاردو فلوريس ماجون (PLM) Ricardo Flores Magón. أما قاعدة الحزب، فكانت أكثر غموضًا أيديولوجيًا. ومع ذلك، قاد PLM استراتيجية أولية ليصبح قوة مرجعية في الحرب الأهلية المكسيكية، مرفوعًا بعلم أحمر استولت Fuerzas Insurgentes عليه شعار "الأرض والحرية"، وشكل مجموعات مسلحة على بعض المدن الحدودية الصغيرة في كاليفورنيا السفلى Basse-Californie.
في أي برنامج للتجميع الزراعي أو PLM لكن، خلافًا لما تخيله التيار الأنركي الدولي، لم يشرع الشيوعية، إذ لم يتح له الوقت. كان يهدف أولًا للسيطرة على وادي مكسيكالي لمصادرة ثروات الملاك الأمريكيين وتمويل السلاح والقاعدة الحمراء في كاليفورنيا السفلى، التي كانت ستصبح إلى Fuerzas Insurgentes واجهة للثورة. لم يتحقق هذا الهدف العسكري. توجه بعض قوات تيخوانا، حيث تعطلت بسبب نقص الإمدادات والسلاح الكافي. أدى انضمام عدد كبير من الأمريكيين ودوافع بعضهم المشبوهة إلى تشويش صورة الماجونيين 84. عندما استعادت لجنة PLM السيطرة، كان الوقت قد فات، وانتهت حرب العصابات.
بعد هذا الفشل، اقتصر الأنركيون المكسيكيون على محاولة التأثير عبر صحيفتهم *Regeneración* على القوى الأكثر يسارًا في الحرب الأهلية، خصوصًا الزاباتيين، ولم يعد بإمكان الأنركية تشكيل قوة مستقلة في الثورة.

لمزيد من المراجع:
Lowell L. Blaisdell, *The Desert Revolution. Baja California 1911,* University of Wisconsin Press, 1962 ; Guillaume Davranche, David Doillon, « Les anarchistes dans la Révolution mexicaine », *Alternative libertaire,* juillet-août 2010 ; Ricardo Flores Magón, *Propos d'un agitateur*, Libertalia, 2008.

التمرد المقدوني (1903)

ارتبط صعود الأنركية البلغارية في منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر ارتباطًا وثيقًا بكفاح البلقان ضد الهيمنة العثمانية. لعب الأنركيون بقيادة ميشيل غورجيكوف دورًا محوريًا في بعض خلايا (četas) المنظمة الثورية الداخلية المقدونية (VMRO). وفق منطق قام لاحقاً لدى الماخنوفيين وأتباع الإتحاد العام الإسباني النقابي CNT أو الزاباتيين، لم يفصلوا بين النضال المسلح والثورة الاجتماعية. أثناء تمرد صيف 1903، كانوا روح "بلدية ستراندجا"، التي شهدت إدارة ذاتية جزئية في تراقيا الشرقية بواسطة المجالس الشعبية المحلية وفق مبدأ "الشيوعية الحرة"، بالتعاون مع المقاتلين. لكن التمرد، المبكر، لم يمتد بشكل كافٍ، وسحقه الجيش التركي بالدم.

كان هناك اتجاهان سياسيان متنافسان. الاتجاه القومي السائد كان يهدف إلى VMRO داخل "بلغرة مقدونيا 85" وضمها إلى المملكة الحاكمة في صوفيا. في المقابل، كانت الأقلية الأنركية تدعو إلى استقلال مقدونيا متعددة الثقافات، تشمل المجتمعات البلغارية واليونانية والصربية والألبانية واليهودية والتركية على قدم المساواة. بعد التمرد، وعجزهم عن تحقيق أهدافهم، أعاد الأنركيون توجيه نشاطهم، وتركوا VMRO وركزوا على تشكيل حركة ثورية في بلغاريا ضد الملكية.

لمزيد من المراجع:
Georges Balkanski, *Libération nationale et révolution sociale. À l'exemple de la révolution macédonienne,* groupe FA de Fresnes-Antony, 1982 ; Georgi Khadzhiev, *National Liberation and Libertarian Federalism,* Artizdat-5, 1992.

كومونة شينمين (1929-1931)

في فوضى الحرب الأهلية الصينية، ومع التدخلات الإمبريالية اليابانية، حاول الأنركيون الكوريون، مثل البلغاريين، إنشاء منطقة محررة. في عشرينيات القرن الماضي، لجأ حوالي مليوني فلاح كوري محرومون من أراضيهم إلى منشوريا Mandchourie مما وفر بيئة خصبة للمجموعات المسلحة المقاومة للاحتلال الياباني. على هذه الأرضية، تأسست في صيف 1929 رابطة الأنركيين الكوريين في منشوريا وتحالف أوسع تحت تسمية الجمعية المتحدة للشعب الكوري (SUPC) مقرها شينمين (حالياً مقاطعة هيلونغجيانغ الصينية). عرضت هذه الجمعية على القرى عقدًا اجتماعيًا فدراليًا، يقوم على الإدارة الذاتية والإنتاج والتبادل وفق مبادئ الشيوعية الحرة، وتمت حماية هذه الجمعية من قبل وحدة مقاتلة بقيادة القائد كيم جوا-جين، الذي لم يكن أنركيًا لكنه أيد العقد الاجتماعي.
كان لدى كومونة شينمين برنامج للتعليم العام والتنمية الزراعية، لكنها واجهت صعوبات: اغتيل اثنان من القادة الرئيسيين على يد عملاء ستالينيين في 1930، ولم تصمد أمام الغزو الياباني لمنشوريا في سبتمبر 1931.
خلال السنوات الأربع عشرة التالية، كان التيار الأنركي جزءًا من المقاومة ضد الاحتلال الياباني، مما أدى في 1941 إلى حصوله على مقعدين من 57 في البرلمان الكوري المؤقت في شنغهاي، الذي ضم جميع اتجاهات المقاومة. هذا التحالف لم يدم بعد 1945. ناضلت الحركة التحررية الأنركية ضد الإمبرياليتين الأمريكية والسوفييتية، كما ناضل التيار الأنركي من أجل كوريا موحدة، ذات إدارة ذاتية واشتراكية، لكن الحركة اضطهدت من بيونغ يانغ وسيول، ونجت فقط في الجنوب، مكتفية بالتموضع المنخفض، مكتسبة بعض الوقت لكنها فقدت روحها.

لمزيد من المراجع:
Dongyoun Hwang, *Anarchism in Korea. Independence, transnationalism and the question of national development 1919-1984,* Suny Press, 2016.

84 نسبة الى ريكاردو ماجون. (إضافة من المترجم).

85 جعلها بلغارية (إضافة من المترجم).

أيّ الشخصيات نختار؟

آلاف المناضلات والمناضلين، أحيانًا ذوي قيمة كبيرة، حرّكوا الحركة الأنركية. تزخر القواميس البيوغرافية بأسمائهم. سنقتصر هنا على عشرين لمحةٍ تعريفية – خمسة عشر رجلًا وخمس نساء – من أنحاء العالم.

الأخ الأكبر □**Michel Bakounine (1814-1876)** ميخائيل باكونين العالمي

روسيا، ألمانيا، فرنسا، سويسرا، إيطاليا ■
أكثر من كونه «الأب المؤسِّس» لعقيدة مكتملة، كان هذا الثائر الكاريزمي في متاريس الشوارع قائدًا وصوتًا معبّرًا ومفسّرًا لتطلعات التيار المناهض للسلطوية الذي كان يتشكّل داخل الحركة الثورية الأوروبية في ستينيات القرن التاسع عشر. ومن خلال مزجه بين التحليلات الاقتصادية لماركس والتصورات الفدرالية والإدارية الذاتية لبرودون، أنتج توليفاً synthèse أصيلًا استولى عليه خلفاؤه ليؤسّسوا، بحق، الحركة الأنركية. 86

منظّر الشيوعية □**Pierre Kropotkine (1842-1921)** بيار كروبوتكين الأنركية

روسيا، سويسرا، فرنسا، بريطانيا العظمى ■
جغرافيّ وعالِم من نبلاء روسيا، كان كروبوتكين جزءًا من نواة المنفيين الذين أسّسوا فعليًا الحركة الأنركية بعد لجوئهم إلى جبال الجورا السويسرية (1879-1880). وبعد أن ذاق السجون الروسية والفرنسية، استقرّ في بريطانيا، وفرض نفسه – عبر إنتاج فكري غزير تُرجم في أنحاء العالم – بوصفه المنظّر الأبرز لأنركية عصره. كان يرى أن الفوضى «نظام طبيعي» عطّله الرأسمال والدولة، وتوقّع انهيارهما الحتمي وبزوغ شيوعية حرّة متناغمة تلقائيًا. هذه الرؤية الحتمية والمتفائلة جوهريًا لم تصمد أمام اختبارات ثورات القرن العشرين. 87

الإرادوية الثورية □**Malatesta (1853-1932)** مالاتيستا

إيطاليا، الأرجنتين، بريطانيا العظمى ■
إذا كانت رؤية كروبوتكين قد تقود إلى نوع من الانتظارية، فإن مالاتيستا عارضها بمقاربة أكثر سياسية وإرادوية. كان متمرّدًا مؤمنًا بالانتفاضة، متشككًا في النقابات، حتى الثورية منها، لاختراقها بمنطقيات فئوية تميل طبيعيًا إلى الحفاظ على البنى الاقتصادية القائمة. هو وريث جدير لباكونين، كان بين 1877 و1922 رحّالةً عالميًا للتخريب الثوري، تطارده الشرطة من إيطاليا إلى مصر، ومن الأرجنتين إلى بريطانيا، يؤسّس هنا صحيفة وهناك تنظيمًا. وبسبب الهالة التي أحاطت به، وضعه نظام موسوليني قيد الإقامة الجبرية حتى وفاته. 88

أيقونة المتاريس Louise Michel (1830-1905) لويز ميشيل

■ فرنسا

الحركة الثورية ليست استراتيجية فحسب، بل هي أيضًا مثالية؛ ومنها تنبع الشعلة التي تُبقيها حيّة في فترات الجزر، وترفعها إلى السموّ في اللحظات التاريخية. أكثر من أيّ شخص آخر، جسّدت لويز ميشيل روح التمرّد غير المساومة مع الظلم، المشبعة بالتفاني. قاتلت في كومونة باريس (1871) وطالبت بالموت أمام المحكمة. نُفيت إلى كاليدونيا الجديدة، وتضامنت مع انتفاضة الكاناك عام 1878. وبعد عودتها إلى فرنسا، وبمبادرتها، تبنّت الأنركية الراية السوداء عام 1883. سجنت مرارًا، وكانت شخصيتها المناضلة غير الخائفة من الشهادة تجذب الجماهير إلى الاجتماعات والمظاهرات. وعند وفاتها، شيّع نعشها في باريس 120 ألف شخص. 89

مولد النقابية الثورية Émile Pouget (1860-1931) إميل بوجيه

■ فرنسا

شخصية محورية في الأنركية الفرنسية، وكان أيضًا من كبار أسماء الحركة النقابية. في الأسبوعية المؤثرة في الطبقة *Père Peinard* تسعينيات القرن التاسع عشر كان قلم صحيفة العاملة، والتي لعبت دورًا مهمًا في انتقال الأنركية نحو الإضراب العام ثم النقابية. وفي العقد الناشئة، رافعًا النقابية (CGT) الأول من القرن العشرين، كان العقل المدبّر للنقابة العامة للشغل الثورية إلى مصافّ عقيدة مكتملة. قدّم النقابات بوصفها فاعلًا في نزع ملكية أرباب العمل، واعتبر وسائلها - المقاطعة، التخريب، الإضراب، الإضراب العام - «رياضة» تمهيدية لـ«الانقلاب الكبير». 90

Ricardo Flores Magon (1873-1922) ريكاردو فلوريس ماغون «تحت شعار «الأرض والحرية

■ المكسيك، الولايات المتحدة

عندما اندلعت الانتفاضة ضد الدكتاتورية العسكرية عام 1911، دعت قيادة حزب الليبرال في المنفى، بقيادة فلوريس ماغون، إلى مضاعفة الثورة السياسية بثورة (PLM) المكسيكي اجتماعية عمالية وفلاحية. وسرعان ما كشفت عن توجّهها الأنركي-الشيوعي. وبعد محاولة فاشلة لإنشاء «قاعدة حمراء» في كاليفورنيا السفلي، شجّع الحزب عمل الزاباتيين جنوب البلاد. وقد وضعت السلطات الأميركية بحياة هذا المُحرِّض الخطر في السجن. ولا تزال ذكراه تؤثّر في جزء من الحركة الاجتماعية في المكسيك. 91

؟)، ضد الإمبريالية الأميركيةGerardo Gatti (1932-1976 خيراردو غاتي

■ الأوروغواي

عام 1956، ومن (FAU) عامل صفّ طباعي، كان من مؤسسي الاتحاد الأنركي الأوروغواياني الذي وحّد النقابية الأوروغوايانية عام 1964. وفي (CNT) مهندسي مؤتمر العمّال الوطني 1967، حظرت الدولة - بتشجيع من وكالة الاستخبارات المركزية - عدّة تنظيمات يسارية، بينها فتوحّدت مقاومة مسلّحة سرّية ضمن «التوباماروس»، لكن غاتي—المعارض لنزعتها .FAU التي جمعت بين الكفاح المسلّح (ROE) العسكرية - كان من مبادري "المقاومة العمّالية-الطلابية" والعمل النقابي. اختُطف واغتيل في إطار عملية «كوندور»، ولم يُعثر على جثمانه قط. 92

مارسيلو ساليناس Marcelo Salinas (1889-1976) طحنته الحرب الباردة

■ كوبا
الإسبانية في العقد 1910، وكان من CNTالأميركية 93 و IWW عامل سيجار تدرّب على يد أبرز محرّكي الحركة الأنركية والنقابية في كوبا. نظّم عدّة إضرابات عامة (1918-1919)، وحُكم عليه بالإعدام ثم أُفرج عنه في اللحظة الأخيرة، وكان قلمًا بارزًا في الصحافة التحررية. بعد 1959، وبسبب رفضهم مبايعة فيدل كاسترو، تعرّضت الجمعية التحررية الكوبية والأنركيون-النقابيون للاضطهاد. اضطر ساليناس إلى الفرار وهو في الثامنة والسبعين، وحافظ في المنفى على مواقفه التحررية، ما أكسبه نبذًا من اليمين المناهض لكاسترو... ومن اليسار المتعاطف معه على السواء. 94

لوسيا سانتشيث ساورنيـل Lucia Sanchez Saornil (1895-1970) من أجل التنظيم الذاتي للنساء

■ إسبانيا
في عشرينيات القرن الماضي إنتاج الذكورية CNT على الرغم من مطالبتها بالمساواة، أعادت السائدة. وكانت لوسيا سانتشيث ساورنيـل من اللواتي أردن قلب الطاولة. موظفة اتصال سابقة وذات موهبة أدبية، شاركت في تأسيس مجلة *Mujeres Libres* («نساء حرّات») في أيار 1936، التي غدت - وسط الحرب والثورة - أداة قوية للتنظيم الذاتي. تكاثرت اللجان المحلية، وتشكّلت في آب 1937 فدرالية تضمّ 20 ألف عضوة. سعت لوسيا، رغم التحفّظات الذكورية، إلى الاعتراف بالمجلة مكوّنًا كاملًا من الحركة التحررية الإيبيرية. ولكن انتصار فرانكو خرب مشروعها. 95

سلفادور سيغوي Salvador Segui (1886-1923) استراتيجي معروف بدمه البارد

■ إسبانيا
نموًا مذهلًا مع احتدام الصراع الطبقي. في كتالونيا، حدّث CNT بين 1915 و1920، شهدت من منظمة قوية لكنها CNT سيغوي التنظيم العمّالي ونظّم عدّة إضرابات عامة. أراد تحويل تحررية أنركية إلى منظمة ثورية ناضجة قادرة على تراكم القوى، والتحضير للمواجهات، وبناء الاشتراكية - لتحقيق الانتصارات. جلب له ذلك كراهية أنركيين UGT التحالفات - خصوصًا مع أي الإصلاحية. ورأى أرباب العمل خطورته «possibilisme متشدّدين اتهموه «بالإمكانوية 96 فاغتالوه عبر مسلّحيهم. 97

محمد سَعيل (1894-1953)، باسم السكّان الأصليين المغاربيين

■ الجزائر، فرنسا
ميكانيكي قبائلي مهاجر إلى باريس، ومتطوّع في إسبانيا 1936، كان روحَ مناهضة الاستعمار التحررية الناطقة بالفرنسية ثلاثين عامًا. كان الخطيب الرئيسي للجنة الدفاع عن سكّان الجزائر النقابية الثورية (1930). في مقالاته CGTالأصليين (1923)، وللقسم الجزائري الملتحق بـ

هاجم قانون الأهالي وبؤس مواطنيه. انتقد قومية مصالي الحاج لسياسته القومية المفرطة ولتعلقه بالدين. كان يأمل أن تطيح حرية الجزائر بسلطة «الرومي 98» و«القيادة الجزائرية معًا، وتفضي إلى حكم ذاتي فدرالي ولا مركزي. لعلّه كان سيصفّق لانتفاضة تشرين الثاني 1954؛ لكنها اندلعت بعد عام من وفاته. 99

فلاح وقائد حرب (1888-1934) Nestor Makhno نيستور ماخنو

أوكرانيا، فرنسا ■

في نيسان 1918، سحق الحكم البلشفي الحركة التحررية في روسيا. ولم تحافظ الأنركية على مواقعها إلا في أوكرانيا، حيث قادت جيشًا فلاحيًا برئاسة ماخنو. قاتل الفرسان ذوو الراية السوداء الاحتلال النمساوي-الألماني والجيوش البيضاء، وتحالفوا ظرفيًا مع الجيش الأحمر الذي غدر بهم بعد النصر. لجأ ألى فرنسا، أسطورة حيّة لكنه معاق الجسد وفقير الحال، شارك في صياغة مشروع لتجديد الأنركية عُرف بـ«المنصّة»، كان له أثر لاحق 100 .

الحلقة المفقودة (1853-1942) Lucy Parsons لوسي بارسونز

الولايات المتحدة ■

بسبب أصولها المختلطة، تُعدّ أحيانًا رائدة للنسوية السوداء - وهو توصيف في غير محلّه. فقد كرّست ستين عامًا لتنظيم الطبقة العاملة "دون تمييز عِرقي أو جنسي"، كما أعلن اتحاد IWPA عام 1881. لم تتناول كثيرًا قضايا التمييز. رمزيتها تكمن في كونها حلقة وصل لم تتحقّق آنذاك؛ إذ رفض التحرريون قانونية قادة السود، فيما صفق هؤلاء - سعيًا إلى "الرضى والسراط المستقيم" - لإعدام أناركيي شيكاغو عام 1887، ومنهم زوجها. ساد الجفاء طويلًا، ولم تبدأ التقاطعات إلا بعد عشرين عامًا من وفاتها. 101

بحثًا عن ماركسية تحررية (1904-1988) Daniel Guérin دانييل غيرين

فرنسا ■

شابٌّ أبديّ، كان هذا الكاتب والمؤرخ حاضرًا في جميع المعارك التحررية في القرن العشرين: الحركة العمالية، مناهضة الفاشية، مناهضة الاستعمار، تحرير المثليين... وفي ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، انكب كذلك على بلورة مذهب جديد هو «الماركسية التحررية». ولعدم تمكنه من إنجاز هذا التركيب الفكري، انحاز في النهاية إلى الشيوعية التحررية. غير أن بحثه النظري لم يكن عبثًا؛ إذ أعاد إحياء الأنركية فكريًا، وقادها جزئيًا إلى تحمّل بعدها «الماركسي» بصورة أفضل في مجال التحليل الاقتصادي، من دون أن يبعدها عن غايتها المناهضة للدولة. 102 "

كاسر القيود (1885-1923) Osugi Sakae أوسوغي ساكايه

اليابان ■

بعد الرائد الشهيد كوتوكو شوسوي (أُعدم 1911)، كان أوسوغي من قادة التيار التحرري في الحركة النقابية اليابانية. أدخل مصطلح "الأنركية-النقابية"، ودعا إلى تحرّر جماعي وفردي-فني وثقافي وجنسي- كسرًا للثقل القومي والكونفوشسي. اغتالته الشرطة مع رفيقته إيتو نوي عقب زلزال طوكيو. 103

مناهض الاستعمار بين نارين **Yu Rim (1894-1961)** يو ريم

■ الصين، كوريا

ناجٍ من انتفاضة 1919 ضد الاحتلال الياباني، ولاجئ إلى الصين، شارك في كومونة شينمين (1929-1931) وصار من أبرز وجوه الأنركية الكورية. مسيرته تجسّد حركة وُلدت من مناهضة الاستعمار واضطرّت إلى تحالفات خطرة مع القوميين والستالينيين. بعد 1945، تعرّضت الأنركية للاضطهاد في الشمال والجنوب، ولم تبقَ إلا في الجنوب عبر "نزع الراديكالية" والاكتفاء بالدفاع عن الفلاحين والعمّال ضمن نمو رأسمالي. 104

ناقد القومية **Rudolf Rocker (1873-1958)** رودولف روكر

■ ألمانيا، بريطانيا العظمى

نموذج للثائر الكوزموبوليتي المناهض للقومية. نشط عشرين عامًا في الحركة الأنركية اليهودية بشرق لندن. عارض الحرب عام 1914، وأسهم في ثورة 1918 وتأسيس اتحاد FAUD. لجأ إلى الولايات المتحدة عام 1933 ودعم الثورة الإسبانية. صدر كتابه المرجعي القومية والثقافة في برشلونة آنذاك. 105

حين غدت الأنركية-النقابية **Pierre Besnard (1886-1947)** بيير بيسنار عقيدة

■ فرنسا

قبل عام 1914، كان هذا العامل في السكك الحديدية متشبّعًا بمُثُل الاتحاد العام للشغل (CGT) أحد أبرز محرّكي الأقلية النقابية الثورية في فرنسا خلال عشرينيات القرن العشرين. آنذاك كان الشيوعيون يطلقون وصف "النقابيين اللاسلطويين" على أولئك اللواتي وأولئك الذين، مثل بيار بيسنار، رفضوا الانحناء لموسكو. وكردة فعل انتهى الأمر بعدد كبير من رفاقه إلى تبنّي هذا اللقب الجدلي، الذي كان استعماله ينتشر في الوقت نفسه في إسبانيا. وعلى أساس تقرير أعدّه بيار بيسنار، اعتُمِد مصطلح "اللاسلطوية النقابية" رسميًا سنة 1937 خلال مؤتمر للأممية العمالية (AIT). وفي عام 1946، كان أحد مؤسسي الكونفدرالية الوطنية للشغل الفرنسية CNT. 106

خطيبة بلا حدود **Emma Goldman (1869-1940)** إيما غولدمان

■ الولايات المتحدة

على مدى ما يقرب من أربعين عامًا، هيمنت بلاغتها القوية على الحركة اللاسلطوية في الولايات المتحدة. وأمام حشود من المضربين، وضدّ الحرب عام 1917، وخلال جولات عديدة من المحاضرات… كانت إيما غولدمان تُنتظر ويُصغى إليها في كل مكان. أمّا المجلة الشهرية التي شاركت في تحريرها *Mother Earth* فلم تقتصر على خوض معارك عصرها السياسية، بل ناضلت أيضًا من أجل تحرّر النساء. وعلى خلاف فولتيرين دو كلير، الأكثر ميلًا إلى العمالية، رأت غولدمان فائدةً استراتيجية في كسب الطبقات الوسطى إلى هذه القضية. وقد نُفيت إلى روسيا عام 1919، فشهدت، بذهول، احتضار الثورة؛ ثم ما لبثت أن ندّدت بلا مواربة بالإرهاب البلشفي. وفي عام 1936، أصبحت هذه الشخصية البارزة صوتَ الكونفدرالية الوطنية للشغل (CNT) والثورة الإسبانية في الخارج. وكان ذلك آخر معاركها107

محامية (**Voltairine de Cleyre (1866-1912** فولتيرين دو كلير النسوية

الولايات المتحدة ■

أقلّ تألّقًا من إيما غولدمان، وأكثر نسويةً من لوسي بارسونز، كانت فولتيرين دو كلير ناشطة مهمة في الحركة اللاسلطوية في الولايات المتحدة. وقد تمثّل إسهامها الأساسي في الترويج للمساواة بين النساء والرجال، وهي القضية التي جابت المنابر مدافعةً عنها طوال حياتها. وإذ لم تُولِ اهتمامًا بحقّ التصويت، كانت تدافع قبل كل شيء عن الاستقلال الاقتصادي للنساء، وضدّ الزواج، ومن أجل الحبّ الحرّ، وضدّ الأخلاق الأبوية، ومن أجل تنظيم النسل. وفي السنة الأخيرة من حياتها، سخّرت موهبتها في خدمة الثورة المكسيكية، مسانِدةً نشاط ريكاردو فلوريس ماغون. 108

لا (**Buenaventura Durruti (1896-1936** بوينافينتورا دورّوتي مناهضة للفاشية بلا ثورة

إسبانيا ■

كان يجب مغادرة جبهة أراغون للذهاب لإنقاذ مدريد؟ لم يفعل دوروتي ذلك إلا على مضض. لأسابيع، رفضت الدولة الجمهورية تزويد ميليشياته بالأسلحة اللازمة لتحرير سرقسطة من الفاشيين، خشية أن تقوّي مثل هذه الانتصارات النقابية–الأنركية بشكل خطير. الحكومة، التي تشارك فيها CNT، طالبت دوروتي بترك سرقسطة للدفاع عن مدريد. قبل أن يستسلم كانت في خطاب إذاعي لا يُنسى قائلاً: أفضل طريقة لـ «الخط الخلفي» CNT لذلك، حذّر دوروتي لدعم الميليشيات هي القيام بالثورة الاجتماعية قبل أن تستعيد البورجوازية زمام الأمور. التأييد العارم لدوروتي كان سيجعله قادرًا على تجسيد توجه بديل عن تنازلات قيادة .CNT لكن رصاصة قاتلة – لم يُكشف أصلها أبدًا – منعته من ذلك. وقد حضر جنازته المهيبة في برشلونة أكثر من 300 ألف شخص109

"سيّدة (**Elise Ottesen-Jensen (1886-1973** إليزه أوتّيسن-ينسن الجنس"

النرويج، السويد ■

لسان حال Arbetaren بإدارة هذه الصحفية التحررية، كانت الصفحات النسائية في صحيفة خلال عقدي 1910 و1920، أكثر راديكالية من الحركة SAC الكونفدرالية النقابية الثورية النسوية نفسها في مسألتي منع الحمل والإجهاض. وعلى خلاف النزعة الصحية الاجتماعية المتقشفة إلى حدّ ما لدى المالتوسيين الجدد، كانت تمجّد المتعة الجنسية - بوصفها أفضل بكثير حين تكون بلا خطر الحمل. وإلى درجة أن العاملات والفلاحات اللواتي كنّ يتوافدن إلى محاضراتها للتعرّف إلى استعمال الحاجز المهبلي أطلقن عليها لقب "سيدة الجنس". وبحكم مكانتها التي لا غنى عنها، أرغمت الحكومة عام 1945 على تنقية أول دليل سويدي للتربية الجنسية من أخلاقيته المسيحية. وفي عام 1952، شاركت في تأسيس الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة . 110

فدائيّ (**Mikhaïl Guerdjikov (1877-1947** ميخائيل غيردجيكوف

بلقاني

الإمبراطورية العثمانية، بلغاريا ■

ظلّ راسخًا في الذاكرة الرسمية البلغارية بوصفه بطلًا من أبطال التحرّر الوطني، فإنّ من كان يُلقَّب بـ«ميشيل» كان قد شارك عام 1895 في تأسيس إحدى أوائل الحلقات اللاسلطوية السرّية في الإمبراطورية العثمانية. وبصفته عضوًا في المنظمة الثورية الداخلية المقدونية (VMRO) قاد في تراقيا الشرقية انتفاضة صيف عام 1903. وبعد لجوئه إلى بلغاريا، جعل من ترسيخ الحركة اللاسلطوية أولويةً له. غير أنّه انخرط في ما سُمّي بـ«الاتحاد المقدّس» حين شكّل عام 1912، خلال حروب البلقان، فيلقًا متطوّعًا لمقاتلة الجيش التركي. وفي عام 1919، شارك في تأسيس الاتحاد اللاسلطوي الشيوعي البلغاري، الذي كان ينافس الحزب الشيوعي على النفوذ. وقد شكّلت جنازته عام 1947 مناسبةً لآخر تظاهرة تحررية كبرى قبل أن يُسدل الليل الستاليني ستاره على البلاد. 111

86 Madeleine Grawitz, *Bakounine*, Calmann-Lévy, 2000.

87 « Kropotkine », *Itinéraire* n°3, juin 1988.

88 Vernon Richards, *Errico Malatesta. His Life And Ideas,* Freedom Press, 1965.

89 Thomas Édith, *Louise Michel ou la Velléda de l'anarchie,* Gallimard, 1971.

90 « Émile Pouget », *Dictionnaire biographique du mouvement libertaire francophone*, 2014.

91 « Ricardo Flores Magón », *Itinéraire* n°9/10, 1992.

92 Trías Ivonne, Rodríguez Universindo, *Gerardo Gatti, Revolucionario,* Trilce, 2012.

93 Industrial Workers of the World (إضافة من المترجم)

94 Fernandez Franck, *L'Anarchisme à Cuba,* Éditions CNT-RP, 2004.

95 Ackelberg Martha A., *La vie sera mille fois plus belle. Les Mujeres libres, les anarchistes espagnols et l'émancipation des femmes,* ACL, 2010.

96 توجّه يفضّل ما هو ممكن تحقيقه فورًا، بدل السعي إلى التحقيق المباشر والكامل للمثل الأعلى» الأناركي".

97 Jordi Martí Font, *Salvador Seguí. El colós de l'anarquisme,* Lo Diable Gros, 2021.

98 كلمة الرومي تُطلق على الأوروبي، المسيحي، الأجنبي الغربي.

99 « Mohamed Saïl », *Dictionnaire biographique du mouvement libertaire francophone*, 2014.

100 Skirda Alexandre, *Nestor Makhno, le cosaque libertaire (1888-1934),* Éditions de Paris/Max Chaleil, 2005.

101 Williams Casey, « Whose Lucy Parsons? The mythologizing and re-appropriation of a radical hero », *Anarcho-Syndicalist Review,* été 2007.

102 David Berry, introduction to Daniel Guérin, *For a Libertarian Communism,* PM Press, 2017.

103 John Crump, *The Anarchist Movement in Japan,* Anarchist Communist Editions, 1996.

104 Dongyoun Hwang, *Anarchism in Korea: independence, transnationalism, and the question of national development, 1919-1984,* Suny Press, 2016.

105 « Rudolf Rocker », *Itinéraire* n°4, décembre 1988.

106 « Pierre Besnard », *Dictionnaire biographique du mouvement libertaire francophone*, 2014.

107 « Emma Goldman », *Itinéraire* n° 8, 2e semestre 1990.

108 De Cleyre Voltairine, *Écrits d'une insoumise,* Lux, 2018.

109 Gimenez Antoine et les giménologues, Les Fils de la nuit, volume 2, note 53, Libertalia, 2016.

110 Gunilla Thorgren, *Ottar och Kärleken,* Norstedt, 2011.

111 Georges Balkanski, *Histoire du mouvement libertaire en Bulgarie (esquisse),* groupe FA de Fresnes-Antony, 1982.

شكر وتقدير

تحيّة للرفاق والأصدقاء والمتخصّصين الذين أناروا بعض مقاطع هذا الكتاب بمعارفهم.

Yannis Androulidakis
Jean-Christophe Angaut
Émilie Benoit
Sam Berkman
René Berthier
Nara Cladera
Élisabeth Claude
Marianne Enckell
Myrtille Gonzalbo
Jocelyn Malloin
Christine Rebatel
Théo Roumier
Berk Yeter